

## الفيلسوف الصامت

او كأنك تعيش ابدا

- ١ -

عاش أربعين سنة من حياته بين الامواج ، بعيداً عن جلبة المدينة وعن معاشرّة الناس . ومات وقد أوفى على الخامسة بعد السبعين من سني الأرض . فكانه ركب ظهر هذه الجناحة الهوجاء ، الهيامة في الفضاء ، وأكمل الدورات حول الشمس خمساً وسبعين مرة ١ ١ ١

ينحدر من أسرة معروفة في ديباط . ولقد عرف عن هذه الميناء أن أهلها اذا لم يعكفوا على التجارة ، عكفوا على العمل البدوي . فاذا لم يفسح المجال في أحد هذين الميدانين لأحد منهم ، فلا أقل من أن يعكف على الفلسفة . وعلى هذا كان فيلسوفنا الذي نسوق اليك اليوم جزءاً مقتضباً من حياته الخافتة بالأفكار ، دون الآثار على أن فيلسوفنا لم يخرج بعد عن شاكلف أهل بلده . فهي بلدة قلما جادت على مصر بناه من نابيها ، أو بصاحب فكرة معروفة من أهل الأفكار فيها . فلما تمخضت بعد طول العقم عن هذا الفيلسوف ، أخرجته فيلسوفاً صامتاً كالقبر ، صلباً كالحجارة . بل الحجارة الثقيلة التي نسمع من ورائها ددعة البراكين وتهدار الزلازل ، تغلي في باطنها . فكان إذا تكلم سمعت من وراء كلماته هممة بعيدة ، فتشعر كأنك أمام ظاهرة من ظاهرات الطبيعة ، لا أمام ابن من أبناء آدم وحواء . ذلك لأنك كنت تسمع الكلمات تتساقط من فيه وتخرج بينة المقاطع والحروف ، ولكن يخرج معها من صدره صوت يرن في نواحي نفسك ، رنيناً يبعث فيك الروعة والاكبار . وكنت تراه مقطب الجبين عابس الوجه ، فيخيل اليك أنه ناغم على الحياة والاحياء . وهي ظاهرة كانت على عكس حقيقته . فانه كان يرسل الحكمة فأخذك العظة . وكان يشرح النظرية فتتلفى اليان . وكان يأتي بالفكاهة فتغرب في الضحك . أما هو فيظل جامداً ، كأنه لم يأت بحكمة ، ولذاته لم يشرح نظرية ، وكأنه لم يرسل مع فكاهته عاصفة من المرح في نفوس السامعين . فهو هو في كل الحالات . جامد الوجه حاد النظرات ، هادئ النفس ، قدير العين . كأن نوبات الحياة التي تدور بالنحس



حيناً وبالسعد آخر ، قد نسبته فلم نعرفه ، ولم يعرف منها إلا أنها الليل والنهار  
بتعاقبان ، وهو راض مادام في معدته شيء تهضمه ، وعلى جسده كساء يدفع عن  
هيكله المنهدم سورة الطبيعة على الشيوخ أمثاله

وقد تعجب إذا علمت أنه كان في غنى يطعم فيه أهل اليسار ، وقد ترك كل  
ما كان ملك لابن أخيه ينصرف فيه كيف يشاء ، فإذا جمع الغلة وأحضرها إليه أخذ  
منها الثلث وترك الثلث لابن أخيه فإذا أكملت الأرض دورة أخرى حول الشمس ، وعاد  
ابن الأخ بذلة البقعة التي يملكها فيلسوفنا من هذا السيار الصغير ، أخذ الثلثين وترك لابن  
أخيه الثلث ، مع ما يكون قد تبقى لديه بعد نفقائه من غلة السنة التي قبلها ، بالغاً  
مبالغ من المال . فكان في هذا مثالا للقناعة الصحيحة ، لآلهم من أمر الدنيا إلا أن  
يكون راضياً بنصيبه منها ، غير آبه رضيته الدنيا عنه ، أم غضبت عليه .

## - ٢ -

لا شأن لنا بهذا الفيلسوف في شأنه . فالراجح أنه نشأ كما نشأ بقية أولادنا بعيدين  
عن أن يحفظ عنهم آباؤهم شيئاً من حوادث الحياة إلا روايات نافذة لا يمكن أن  
ينفع بها المترجمون عن حياتهم . ولكننا نريد أن نتلقى بفيلسوفنا بين جدران الازهر  
يتلقى العلم ، وينفقه في الدين ، على القواعد التي جرى عليها شيوخ الازهر منذ  
ثبتت قواعده على البقعة التي شاء القدر أن تقوم من فوقها جدرانه الثقيلة .

وشب بين جدران الازهر ، فصار في رجل فرعه ، واستبان عضلاته .  
واكتسبت فيه طريقة التنقيب الأكاديمية ، لا على الطريقة الجدلية التي جرى عليها  
الازهر ، بل على طريقة أخرى ، لم يتلقها عن أحد ، ولكنه سبق إليها بزعة كانت  
فيه ، قوتها من بعد الحوادث ، وأكملها المناقشات ، فكنت تراه يجلس على حصير  
في حلقة الدرس أمام أسناده من أساتذة علم الأصول أو التوحيد ، فينصت إلى  
ما يقول انصت المستوعب ، لا انصت المستجمع ، فإذا خلى بنفسه أخذ يطيل  
التأمل ويتابع التفكير ، منفرداً عن بقية اخوانه الطلاب ، ثم لا يلبث أن يتهد تنهدة  
عميقة يحيل اليك معها أن حشاشة قلبه كادت تثب إلى فيه .

وكان في أكثر ساعاته هادئاً راضياً . غير أنه كان في بعض الاحايين ثائراً صاخباً  
أما ثورته وصخبه فتكونان إذا أصاب من أحد اخوانه قولاً ينافي العقل ، أو اشتبك  
في مناقشة فرماه أحد المناقشين برأى قاتل أو لجأ إلى القتل ليقول له ، لا يسأل عما



يفعل ، او ، هكذا شامت الارادة الازلية ، ، او يرميه ببرهان منطقي فاسد بالمقدمات .  
او يقول له ( علم الاوائل بالتصديق اولى ) !!!

كانت هذه النزعات الشكية تقوى شيئاً بعد شيء في نفس هذا الفيلسوف الصامت ،  
فكان لا يتفوه بشيء يتم عنها الا بمقدار ما يسمح له صمته ان يتفوه . وكثيراً ما كان  
يعبر عن شكه بإشارة او ابتسامة ، او تقطيب حاجبيه ، او الانطلاق في سبيله من غير  
ان يرد جواباً او يستأذن في المسير .

على أن هذا الشك لم يكن ظاهر الغايات ، بل كان شكاً يتناول بعض المبادئ التي  
ينطلقها أو النظريات التي يسميها أو يقرؤها . وكان حتى هذه الآونة ثابت اليقين في الدين ،  
كبير الاعتقاد فيما يجر المعتمد الديني من المغامرات للنوع الانساني . واكتفى بأن يكون  
الشك بينه وبين نفسه ، فمضى مهموماً به كأنه حمل ثقل يقض عليه في الليل مضجعه ،  
ويصرفه في النهار عن الناس .

وكان أبوه قد عهد به الى أحد أصحاب الفضيلة من معلمي الأزهر ليقوم على أموره  
الدنيوية ، ويتصرف فيه تصرف الملك في ملكه . فكان اذا أرسل نقوداً فاتها  
لا تخرج من جيب صاحب الفضيلة إلا بنحو ما لا يساوي النجم منها أكثر من ملجم  
في صيحة اليوم وآخر في مساءه . أما الخبر والأدام في بيت صاحب الفضيلة من فضلات  
الجرارة يأكلها الفيلسوف الصامت راضياً قانعاً .

على أن أباه كان في بسطة من الرزق وخفض من العيش . يملك حول دمياط ضياعاً  
وفي المدينة بعض العقار . فبادر الى ذهن فيلسوفنا أن أباه يريد أن يعود الاحتمال  
والصبر ، وأن يخرس في نفسه فضيلة الزهد في الدنيا . فصبر وصار حتى ضاقت به  
الحال ذات يوم ، فكتب الى أبيه خطاباً يشكو سوء حاله وتقديره عليه ، وأنه لا يشركه  
في بعض مما أقاض به عليه الله . ومضى على الخطاب أسايح لم يعرف فيها ما كان من  
أثر خطابه في أبيه .

وذهب ظهيرة ذات يوم الى منزل صاحب الفضيلة يتلغ بكسرة من الجرارة ،  
فالذا به يرى مائدة اذا قيس ما فيها بأدام كل يوم كانت المائدة التي أهبطت من السماء ،  
فأخذه العجب ، وقال في نفسه لعل الأستاذ صاحب الفضيلة قد أولم لاحد أصحابه أو  
أقربائه . غير أنه تبين أن المائدة كانت إحتفالاً بمقدم أبيه . فملل النفس بفراج الازمة ،  
وتخيل أن خطابه فعل بأبيه من الأثر ما أمل أن يكون .



غير أن أمه قد ضاع عندما قدم أباه إلى البيت، فلم يحسن مقابلته بعد مغيب عدة سنوات كاملات. ثم تبين أن صاحب الفضيلة كان يقبض من أبيه خمسة جنيهات كل شهر تقفه له، وجنبها للسكن. وأن صاحب الفضيلة قد أوقع بين الأب وبين ابنه بدعوى أن الابن مسرف وأنه يدينه في مبلغ من المال لم يشأ أن يقبض يده به عنه لئلا يكون بهذا مقصراً في حق ابن صديقه الحميم. وصمم الوالد على أن يحرم ابنه من التعليم وأن يصحبه إلى دمياط ليعمل في الحقول. وعيناً حاول صاحب الفضيلة أن يمنع الأب بأن في خروج ابنه من الأزهر خسارة. فعلى هذا صمم الأب ثم نفذ، فلم يشأ أن يغادر القاهرة إلا ومعه ابنه الفيلسوف وكان الوداع قصيراً. ولما هما أن يفترقا سأل فيلسوفنا شيخه صاحب الفضيلة قائلاً:

« أمن الذمة والدين أن تكذب بعد أن تسرق مال غيرك » فكان الجواب سيئاً في أن يذهب بالبقية الباقية من يقين الفيلسوف ومعتقده. فان الشيخ قلله « أوصيك يا بني بهذه الحكمة ».

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واهمل لآخرتك كأنك تموت غداً »  
 هنا أدرك فيلسوفنا أن شيخه قد عامله على مقتضى هذه الحكمة. وهنا عرف أن صاحب الفضيلة قد برر السرقة عملاً بهذه الحكمة، وأجاز كل السحت. وضرب بالفضائل عرض الأفق الأوسع، حيث أن العمل للدنيا تجهز بالطبيعة، وإن نافي الأخلاق والفضائل. ومادام العمل للآخرة مفتوح الباب بالصلاة والصيام والقيام زلفاً من الليل وأطرافاً من النهار.

فأدار الفيلسوف ظهره لشيخه الوقور متمتماً في نفسه: —  
 لقد صدقت أيها الشيخ المبجل والحق فيها نطقت به. لا خطيئة في أن تسرق، ولا خطيئة في أن تكذب ولا خطيئة في أن توقع بين الابن وأبيه بل ولا خطيئة في أن تقتل مادامت كل هذه الخطيئات توصلك إلى العمل لدنياك كأنك تعيش أبداً. وخرج إلى الطريق فوجدها تعج بمن يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبداً. ورأى أباه في وسط الطريق وقد اختلط بالذين يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبداً. فأمرع الخطو. ولكن أباه كان قد اندس في زمرة من الناس اجتمعت حول شخص أحاطت به سلال الخبز يبيعه، ومن حوله فقراء جياع عراة، مد أحدهم يده خلسة ليأخذ رغيفاً يتبلغ به ويرد به عن نفسه عادية الجوع، فأخذ الرجل بتلاييه متلبساً بالجريرة



وأسلم به الى الشرطة . وقد اجتمع من حوله الناس ينو سلون بفقره الى الرجل ليصفح عنه ، معترفين عنه بأنه لم يسرق ليسرق ، بل ليأكل ، وأن طالب القوت ماتعدى . ولكن كيف يصفح الرجل والعيش لغيره ، ومن بقايا الجراية ، وأصحابه يطالبون بمأثنته وبأن يكون أمينا ؟ ولقد احتج الرجل بأن في هذا العمل عبثه ، وأن أصحاب الجراية اذا سمع أحدهم يتصرفه هذا حرمة عمولة البيع وبقايا الكسر !

وكان فيلسوفنا قد أدرك أباه ، فصلاح به الى أين نحن ذاهبان ؟ الى دباط ؟ كلا ياأبت . انى لا أريد أن أكون من زمرة الذين يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبدا . كلا ياأبت لا أريد !

ولقد تبادر الى ذهن الاب أن ابنه قد أصابه من الشيطان مس ، فأخذ يتأمله من مفرق رأسه الى أخمص قدميه . وقد زاغ بصر الفيلسوف كأنه وقع على عالم جديد لم يكن يعرفه . أو كأن سرأ عبقا من الاسرار أزيح عنه الستار أمامه لحاة فتعل به مايفعل الجنون المؤقت بشخص كامل الإدراك

« ماذا تقول يابنى »

« أقول لك صراحة وفي غير لبس على لا أريد أن أكون في زمرة الذين يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبدا !! كلمات صريحة عربية فصحة مقبولة !! ماذا تريد منى ؟ الطريق مهود أمامى ، ولا أعجز عن أن أجد عكازا وجرة أجمع فيها الصدقات لأعيش من فضل ذوى البر والاحسان !! هذا عندي خير من أكون في زمرة الذين يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبدا !! »

« ومن هم يابنى الذين يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبدا ، ؟ »  
« من هم ؟ الشيخ صاحب الفضيلة الذى وصيته بى ، وهؤلاء الناس . . . وأنت أيضا ، »

« ساعلك الله يابنى ، !! »  
« ولماذا ؟ هل أغضبك يا أبى ؟ أو تعرف ان الذين يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبدا أدنيا ، ؟ »

« كلا يابنى ؟ ولكن ما السبب فى هذا الانقلاب الغريب ، ؟ عرقى !! »  
« السبب لا أقوله وإن أقوله ! ولكن يكفى أن تعرف أن زمرة الذين يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبدا سفلة أدنيا . أشقياء . لا يعرفون للخطيئة معنى اللهم الا



أن يكون الامتناع عنها حائلا دون نفع تجرى عليه حكمة العمل للدنيا كأن الإنسان يعيش أبداً .

وكان الأب قد تأكد أن ابنه قد مس أو جن فلاطفه قائلاً  
« أو تعتقد يا بني أنى من هذه الزمرة ؟ »

وكان الابن قد أخذته الشفقة على أبيه الشيخ أن تطول به اللجاجة في أمر لا يفهم سره ، وخشى أن يستقوى عليه الحنان البنوي فيرتد عن عزمه الذى عزم ، فلم يحرج جواباً ، بل شمر عن ساقيه وأدار ظهره لوالده وانطلق يسابق الريح فى الطريق المزدحم

### — ٣ —

وظل يحرق فى طرق لا يعرفها ، وكأنته يشعر بأنه مطار د مطلوب ، فلما أعياه التعب كان قد جاوز جسر قصر النيل ، فأنعذر الى الشاطئ ، وارتوى تحت شجرة ، منهوك الجسم يلهث لهثاً شديداً ، وقد آمن أن يلحق به أبوه أو يعرف له مستقراً .

وماذا يصنع ؟ وكيف يعيش ؟ وهو مسكين - لا يملك قوت يومه ، اذن فليجلس قليلاً حيث هو لعل منظر النهر المتساب تحت قدميه ، والنسبات التى تحملها أمواجه ترد عليه شيئاً من القوة أو تبعث فيه ريحاً من الأمل . وأخذته سنة من النوم ، فلم يستيقظ الا وقد أرخى الليل سدوله ، وأخذت أمعاؤه تطالبه بأن يعمل لدنياء . فقال فى نفسه نعم فلا عمل لها ، ولكن لن أعمل لها كما نى أعيش أبداً . فاقى عند حد قول من قال

قليل الهم لا ولد يموت      وليس يخاف شيئاً يفوت  
قضى وطر الصبا وأفاد علماً      فغايته التفرد والسكوت  
وغاية همه بما عليه      تناحر من ترى خلق وقوت

وتحفر للسير بعد أن أصلح من شأنه ، وأخذ يسير فى الطرقات على غير هدى ، حتى اذا عضه الجوع وبلغ منه السغب ، وقف أمام باب يشعر بأنه باب بيت كبير وان أهله فى يسار ، وسأل كسرة يتبلغ بها ، فاعين وانهر ، فمضى وهو يقول فى نفسه لعل هؤلاء من الذين يعملون لدنياءهم كأنهم يعيشون أبداً . وعزم على أن يبيت على الطوى . وظل يتسكع فى شوارع العاصمة حتى بزغت الشمس وأخذت الافاعي البشرية تنساب فى جوانبها . لا بد له من عمل يعيش من أجره ، ولا بد له من أن يأكل يعيش . ولكن من ذا الذى يحمل فيلسوفنا على أن يعمل للدنيا كأنه يعيش أبداً ؟ يستطيع أن يكتب لايه



وأن يذهب ليعيش في ضياعه ! ولكنه لن يفعل . فإن ارتكاب الخطيئات شرط ، مرهون عليه العمل للدنيا كأنك تعيش أبدا . هذا ماثبت في رأس الفيلسوف ، وعلى هذا المعتقد حلواه التراب .

ولقد تناهتة الأيدي المستثمرة العاملة للدنيا كأن أصحابها يعيشون أبدا . فمنهم من سخره ولم يدفع له كل أجره ، ومنهم من غالطه في الحساب ، ومنهم من كذب عليه ، ومنهم من اتهمه زورا ليخلص من حق له عليه . ومنهم من أنكر أنه رآه أو كلفه بعمل ما .

ولقد كانت نتيجة هذه الجولة الواسعة ان يعتقد الفيلسوف ، أن كل الناس سواء في العمل للدنيا كأنهم يعيشون أبدا . وكان آخر التطواف أن يظل ثلاثة أيام بلا طعام ولا مأوى حتى سقط في بعض الطرقات فاقد الحس مشرفا على الموت .

#### — ٤ —

— « لعلك ياسيدي لست من الذين يعملون للدنيا كأنهم يعيشون أبدا » .

— « كلا يابني . إنا نعمل للأخرة قبل أن نعمل للدنيا » .

— « ومن أنت وابن أنا ؟ »

— « أنا أخوك الزاهب هنري . وقد رأيتك تسقط في الطريق مشرفا على الموت ،

فاخذت يدك وحملتك الى مستشفى البير اجاية لصوت الانسانية الذي يبعث في نفوسنا الدين النصراني » .

— « او يأمرك الدين النصراني بان تحب الانسانية ، بلا تفرق بين معتقدات

البشر ؟ »

— « نعم . ولكن يأمرنا مع هذا ان نبشر به لكل من نستطيع . وان نهدي

اليه من يفتح الله قلبه للايمان » .

— « فاذا كان مؤمنا بالله و اليوم الآخر ورسله وملائكته ، وكان ثابت اليقين

راضيا عن معتقده ، مؤمنا بكل ما يجعله عضوا صالحا في المجتمع الانساني ؟ »

— « لا اظن ان يكون شخص عضوا صالحا في المجتمع الانساني الا اذا كان

نصرانيا ، لانه دين الحق الذي اتى به ابن الله ليخلص به الانسانية من الخطيئة الاولى ويفتح له ملكوت السموات » .

— « او تعتقد إذن ان ملكوت السموات مغلق امام كل الانسانية الا النصارى ؟ »

— « وهل تشك في ذلك ؟ الست قبطياً من اتباع الكنيسة الاورثوذكسية ، ؟ »



— « كلا . بل انا مسلم أو من بمحمد عليه الصلاة والسلام ودينى الاسلام وكتابى القرآن » .

— « هذا حسن . وانت حر فى معتقدك . ولك ان تبقى هنا او تخرج متى شئت . فلا فرق عندنا بين بنى الانسان ، فكلهم سواء . وان اختلفت عقائدهم » .  
وتركه الراهب هنرى فى حيرة من أمر نفسه . وكان أول ما نادى الى ذهنه انه وقع على زمرة لا يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبدا . فاطمأنت نفسه بعض الشيء . ومضى معتقدا أن فى الارض مكانا لا يعرف أهله العمل للدنيا كأنهم يعيشون أبدا ، وان حرية المعتقد مكفولة . والامر عجب . فهنا سر لم يعرفه من قبل فيلسوفنا الصامت .

### — ٥ —

ولكن كيف لا يكون شخص عضوا صالحا فى المجتمع الانسانى الا اذا أصبح نصرانياً ؟ وكيف أن ملكوت السموات غير مفتوح الا للنصارى ؟ ولكن ، ما شأنه بهذا مادام يستطيع أن يظل فى الدير محتفظا بمعتقده وإيمانه ؟ أمر ثانوى إذن أن يكون نصرانيا أو مجوسيا أو محمديا . مادام أهل الدير لا يفرقون بين المعتقدات ولا بين البشر لمعتقداتهم .

ومضت عليه برهة من الزمن فى المستشفى . فإذا شفى كلف ببعض العمل فى حديقة الدير ليعرض بها عن أهل الدير بعض ما يتفقون فى سبيله ، وليكون عند حد قول التوراة « بعرق جيتك نأ كل خبزك » . فرضى قائما وفى نفسه همس دقيق بوحى اليه بأن يعمل ليا كل خبزه بعرق جيته . ولكنه لن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا . لم يكن ليعلم حتى اليوم ان الراهب هنرى وزملاءه يخفون وراء حب الانسانية الذى يتظاهرون به حب الدنيا يعملون فيها ليفوزوا بالعيش أبدا فى جنات الخلد . ولم يكن يعرف أن الذى يعمل كأنه يعيش أبدا ، سواء عنده عمل ليعيش فى الدنيا أم الآخرة . فكله عيش أبدي تهرق فى سبيله كل الوسائل ، ولا يجب ان تحول دونه وسيلة من الوسائل . وكان أهل الدير قد عهدوا الى هنرى ان يكون مبشرا لعبد الرحمن بدين النصارى ، وان يعمل فى الدنيا عملا يكفل له العيش الابدى فى الآخرة . وبدأت المناقشات والمحاورات . وظلت الحرب سجالا بين المبشر الذى يريد أن يفوز بالعيش الابدى فى الآخرة . وبين الفيلسوف الذى لا يريد أن يعمل ليعيش أبدا .

— « إذن كان ادعائك أن ساحة الدير لا تعرف التفريق بين الاديان وسيلة



تستقيني بها . حتى اذا ذلت الطريق دعوتني الى دينك . وهذا لعمرى انتهى التصعب للرأى .

— « كلا يا عبدالرحمن . فان الدين النصراني ، دين الحب والتضحية والأخاء الانساني وهي مبادئ . لا تجدوها في دين آخر من الاديان . »

— « واضطهاد اليهود في أوروبا ، والحروب الصليبية في الشرق ماذا تقول فيها ؟ »

— « لا شيء . ولكن الدين النصراني يفرض على النصراني أن يدير خده الايمن لمن يلطمه على خده الايسر . وهو مبدأ صريح في الاناجيل . »

— « مبدأ نظري ككثير من المبادئ التي تقال ولا يعمل بها . »

— « إذن فأنت غير مؤمن أو على الاقل لا أدري أو شك . »

— « وماذا علي أن أكون كذلك مادمت بين جدران الدير ، وهو مكان كفلت فيه حرية المعتقد والرأى ؟ »

— « وماذا جعلك تصل الى هذه الغاية التي تحرمك ملكوت السموات ؟ »

— « السبب يا سيدي الراهب اني وجدت أن أهل الدنيا جميعهم ومن غير استثناء ، حتى علماء الدين الاسلامي الخفيف ، يعملون لديايم كأنهم يعيشون أبدا . »  
http://Archivebaa.Sakhr.com

— « وأية غضاظة في هذا ؟ »

— « الغضاظة أعرفها أنا وحدي ولا أريد أن أفضي بسرها لأحد . فان شكوكي القديمة قوتها الحوادث حتى أصبحت بعيدا عن الايمان وإن شئت فقل أصبحت حراً من العقائد ومن الايمان ومن التقاليد . »

— « الايمان هو الجانب المأمون . فاذا مت وكان عدم ايمانك قائما على أساس فناءك تنتهي حياتك وينتهي تجديدك معها . واذا لم يصدق إنكارك ، فأنت ولا شك ذاهب الى جهنم فلتقى عذاب السعير . »

— « ليس الامر كذلك . فاني أعتمد اني اذا مت وكنت صادقا في عدم ايماني ، فان حريتي هذه تعيش من بعدى ، ويتبع الناس في الحياة مثلا أقوم بأن لا ينكبوا على العمل لديايم كأنهم لا يعيشون أبدا . وبذلك يتحررون من التقاليد والاساطير التي تعوق سير الحضارة »

— « ولكن يجوز أن تكون مخطئاً في أنكارك ، وبذلك يكون الايمان آمن طريق »



— « إذن فأنت تريد أن تمثل بقول من قال .  
 « زعم المعلم والطبيب كلاهما أن لا حياة فقلت ذاك اليك .  
 « إن صح قولكما فاست بخامر أو صبح فولى فالحسار عليكما .  
 « ولكن أريد أن أسألك يا حضرة الراهب أى صور الإيمان تعنى ؟ أيجب لى أن  
 أقبل أية عقيدة أشاء ؟ »

— « كلا هذا مستحيل . انى انصحك ان تقبل المعتقد النصرانى .  
 — ولم لا أصبح موسويا او مجوسيا اذا كان الامر مقصورا على أن يكون الانسان  
 ذا عقيدة ؟ »

— لان عيسى ابن الله أتى ليخلص الانسانية .  
 — ومن أى شىء أتى ليخلصها ؟ ولماذا لا أظل كما أنا مسلم بالتقليد لان آباي كانوا  
 مسلمين وكفى . ؟ »

— ان الدين النصرانى لا يعترف بمحمد .  
 — ولكن محمداً يعترف بعيسى وموسى وابراهيم وجميع الرسل والانبياء فدينه  
 اوسع ، وبحال الخلاص فيه ارحب وافصح . ولكن لماذا يكون الانسان ذا عقيدة فى  
 أمر غيبى على اطلاق القول ؟ <http://Archivebeta.Sakhr>

— لان الدنيا لاتصلح بغير دين . ولان الدين يمنع الشرور والمفاسد . ولانه لولا  
 الدين لا كل الناس وذبحوا بعضهم بعضا ، وبذلك تكون نهاية الحياة البشرية .  
 — يا أخى هنرى ! ان الدين لم يمنع أهله بعد آلاف السنين من أن يعملوا لدنيام  
 كأنهم يعيشون أبداً . وفضلا عن هذا فان الخوف من قانون العقوبات والبوليس  
 كفيل بالنظام . وأزيد لك بأن الانسان نوع من الانواع الحيوانية ظل بلا دين أزمانا  
 طوالا فلم لم يأكل بعضه بعضا ؟  
 — الا ديان لاتسلم بهذه النظرية .

— حسن . اذا كانت الانواع الحيوانية كالذئب والسباع ، بل والعقارب والثعابين  
 لاناكل بعضها بعضاً ولا تنفى بعضها بعضاً ، فأولى بالانسان أن لا يكون أقل منها حكمة ؟  
 — أراد الله ان لا يكون الانسان بغير دين

— أنقصد مطلق الدين . اذا كان الامر كذلك فأتباع محمد يزيدون الآن على  
 ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة ، وكلهم يعتقد أن القرآن كتاب الله . فلماذا نفضل الدين  
 النصرانى ؟



الأفرنج (١) رواية البلاذري الأولى وعقدوا عليها أهمية كبرى فاثبتوا أن أبا عبيدة لم يرسل آتذ ويغالي كيثاني (٣) في قوله إن أبا عبيدة لم يظهر في سورية إلا بعد معركة اليرموك (عام ٦٣٦ - ٦٣٧) . على أن معظم مؤرخي العرب يذكرون سير أبي عبيدة آتذ (٣) وآخرون يذكرون تسميته أميراً في حالة اجتماع القواد (٤) وعلى كل فانه من الممكن أن يكون أرسل مؤخراً لينجد من تقدمه .

ويروي سيف بن عمرو ويتبعه في ذلك ابن الأثير (٥) قصة طويلة عن حملة خالد بن سعيد والنجيدات التي أرسلت له تحت قيادة عكرمة بن أبي جهل والوليد بن عقبة وانكسارهم في موقعة مرج الصفر ورجوع خالد إلى ذي المروة شمال المدينة حينما جردوه القواد الماز ذكرهم من عسكره ، على انه لا يمكننا تصديق هذه الأخبار لان مرجعاً واحداً يذكرها ولا يوثق كثيراً بصديق رواية هذا المرجع .

وقد أرسلت هذه الحملات في أوائل عام ١٣ (٦٣٤) حسب قول معظم المؤرخين (٦) ، ولكن بعض علماء الأفرنج (٧) يثبتون إرسالها قبل نهاية عام ١٣ (٦٣٣ - ٣٤) وهذا معقول وأقرب إلى القبول لأنه يعطى وقتاً كافياً للحوادث التالية ، كما سبق لك في الصفحات الآتية . وإربما كان أول صفر عام ١٣ تاريخ إرسال نجدة تحت قيادة أبي عبيدة (٨) ويذكر عدد من مؤرخي العرب أن أبا بكر وزع البلاد السورية على قواده حين سفرهم ، على أنهم يختلفون في ذكر الأراضي التي خصصت لكل منهم (٩) ويتسائل كتبة الغرب في صحة هذا فيقول أحدهم : وإذا كان هذا التوزيع صحيحاً فاما أن يكون أبو بكر قد جهل الصعوبات القائمة في وجه

(١) مذكرة دي غوي ٢٩ . لا يذكر لامتنس سورية ص ٥٤ . لارسال أبي عبيدة :

٢٩٠ . انظر بكر ٣٤٤ ، هارتن في دائرة المعارف الإسلامية ج ٦ ص ٩٠٤ . ٣٠٠ . الطبري ج ٤ ص ٢٠٧٩ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٤٥٥ ، أبو عتف في البلاذري ١٠٤ ، ولقدى ١٢ ، دحلان ٢٧ . ٢٥٠ . الحقوقي ج ٢ ص ١٥٠ ، دحلان ٢٢ ، أبو عتف ، الوافدي ١٢ يقول أن أبا بكر أشار على عمرو أن يستشير أبا عبيدة ويذكر تأييده على المهاجرين والانصار - أهل المدينة - ونأمير عمرو أبو يزيد - انظر أمير على ٣٦٠ . على أهل مكة ، وهذا مصدر نزاع في الجيش ٥٥٠ . الطبري ٢٠٨ - ٢٠٩ ، ابن الأثير ج ٢ ص ١٥٤ - ٥٥ .

٥٦٠ . عمرو بن شبة في الطبري ٢٠٧٩ ، البلاذري يذكر أول صفر عام ١٢ ص ١٠٤ ، ابن الأثير ١١٤ ، دحلان ٢١ ، الفخري ، وابن إسحق في الطبري ٢٠٧٨ . فقط يقول في عام ١٢ . (٢) بكر يقول في حريف ٦٣٣ أو آخر عام ١٢ : لا مضي سورية ٥٤ ، مذكرة دي غوي ٣٣ . (٣) مذكرة دي غوي ص ٤٠ .

(٤) أبو جعفر الخيزري ص ٢٠٩٠ يقول أن أبا عبيدة أمر على حصص ، ويريد على دمشق ، وشرحيل على الارض وعمرو على فلسطين . ويقول أبو زيد في الطبري ٢١٠٦ - ١٠٧ أن يزيد احتل البلقاء ، وشرحيل والى الارض وأبو عبيدة الحامية وعمرو العربات - ويوافق ابن الأثير ج ٢ ص ١٥٤ على رأي أبي زيد . ويوافق البلاذري ١٠٤ على كلام أبي جعفر ولكنه لا يذكر أبا عبيدة .



قواده وظن أن سورية غير محمية ١ وإما أن يكون قد باع جلد الب قبل أن يقتله ٢ (١) قد يكون مؤرخونا قد بالغوا في طبيعة توزيع مثل هذا ولربما قسم أبو بكر الأراضي على هذا الشكل ليتفنى شر المنافسات والخصامات بين القواد الفاتحين حينما نطأ أقدامهم تلك الأراضي ، أو ليشجعهم ويجعل فيهم عامل الربح دافعاً إلى النصر .

— ٤ —

### فتح فلسطين الجنوبية

وافتح يزيد ثبوك في طريقه ولما أتى إلى فلسطين من جهة الغرب صعد التلال التي تشرف على وادي العربية (٢) جنوبي البحار الميت وهناك فاجأ جيشاً بيزنطياً (٣) يقوده سرجيوس بطريق (حاكم) قيصرية ، فانهزم الطريق وجيشه إلى غزة ولكن جيشاً عربياً داهمهم في داش وقهرهم وقتل سرجيوس نفسه (٤) . ويقول البلاذري (٥) إن يزيد التحم مع البيزنطيين في داش ، وهي قرية من أعمال غزة (٦) أولاً ، وبعد أن تم له قهرهم أرسل أباً أمامة الهاشمي ليقاوم جيوشهم المحتشدة في وادي العربية وعددها ثلاثة آلاف تحت ستة قواد ، حسب قول أبي مخنف (٧) وهناك لاقاها وقهرها .

أما عدد الجيش البيزنطي فإنه مبالغ فيه وقد قيل أنه كان مؤلفاً من بضعة مئات من العساكر أفتها كثرة عدد المسلمين (٨) ولكن لا يمكننا الجزم بصحة هذه الأقوال طالما فاه بها أناس يودون أن يحطوا من شأن أعمال العرب الفاتحين . و يذكر العلامة دي غوري أن سرجيوس لم يقتل في داش بل في أجنادين كما نعلم من تحرير أرسله له سوفرونوس رئيس أساقفة القدس بعد ذلك التاريخ (٩) وبعض الكتاب لا يذكرون هذه المواقع قط (١٠) على أن أباً حفص الشامي (١١) يذكر مستنداً إلى بعض شيوخ سورية أن موقعة العربية كانت أول موقعة التحم بها المسلمون مع البيزنطيين .

(١) مذكرة دي غوري ، ٢٦ (٦) وتشتمل العربات أيضاً انظر الطبري ، ٢١٠-٢١١ (٣) يقول بطر ، ١٤٦ أن العرب كانوا يدعونهم ، الروم ، وكانوا هم يفضون أن يدعوا بهذا الاسم . وكانوا يفتخرون لقباً دعاهم الناس - يونان - وكانوا يحسبونها لافاة . على أن كلمة - بزنطيين - هنا أصح والسبب . (٤) راجع بشأن هذا أباً زيد في الطبري ، ٢١٠-٢١١ لا مفسر - سورية - ٥٤ ؛ بكر ، ٣٥ ؛ ابن الأثير ، ٢٥٥ ، مجلد ٢٢ . (٥) البلاذري ، ١٠٩ (٦) يقال لها داش أيضاً راجع الطبري ، ٢١٠-٢١١ مذكرة دي غوري ، ٣٠ . (٧) انظر البلاذري ، ١٠٠ . (٨) لا مفسر - سورية - ٥٤ : يوفانس في مذكرة دي غوري ص ٢٤ يقول إنه البيزنطيون كانوا ٣٠٠ . (٩) مذكرة دي غوري ، ٢٦ (١٠) منهم اليعقوبي ، سيف ، الواقدي ، ميور . (١١) البلاذري ، ١٠٩ .



وأما تاريخ موقعة داث فان كتاب العرب لم يعينه تماماً مع أنهم يذكرون عام ١٣ كتاريخ عمومي لهذه المعركة . ويرتأي دي غوبن أنها حدثت في أواخر شهر ذي الحجة عام ١٢ ( كانون الثاني ٦٣٤ ) ويثبت لامنس وبكر وقوعها في شهر ذي الحجة من عام ١٢ ( ٤ شباط ٦٣٤ ) ( ١ )

— ٥ —

### مسير خالد بن الوليد الى سورية

يقال انه لما وصل عمرو بن العاص الى جنوبي فلسطين تطلع الى الجيش البيزنطي فباله عدده فكتب الى أبي بكر عن ذلك وطلب منه النجدة فكتب أبو بكر الى خالد في العراق يستدعيه الى معونة اخوانه في سورية ( ٢ ) . وانها لحقيقة راهنة أن يودورس شقيق هرقل ، الذي كان آنئذ في حصص ( ٣ ) قاد جيشاً لجأ نزل به ثنية جلق في جنوب غربي حوران ( ٤ ) وربما استجد عمرو وباقي المسلمين بأب بكر عندما رأوا أنفسهم في خطر من تلك الكتائب ( ٥ )

وهناك مجال للجدال في مسألة قيادة جيوش الاسلام المتحدة . فان بعض الذين يعتقدون بتأثير أبي عبيدة على جيوش الاسلام في بادئ الأمر ، يرفقون تحرير أبي بكر الى خالد بأمر اعال من لته يجعله قائداً عاماً لجيوش الاسلام في سورية ( ٦ ) ويعطي البلاذري ثلاثة آراء في هذا الصدد فيقول : « فيقال أن أبا بكر جعله أميراً على الامراء في الحرب » وقال قوم كان خالد أميراً على أصحابه الذين شخصوا معه ، وكان المسلمون اذا اجتمعوا لحرب أمره الامراء فيها لبأسه وكيدته وبمن يقبته » ( ٧ )

( ١ ) مذكورة دي غوبن : ٤ ، بكر : ٢١٠ ، لامنس - سورية - ٥٤ ، ( ٢ ) راجع البلاذري ١٠٩ ، بن اسحق في الطبري ٢١٠٨ - ٢١٩١ : الواقدي ٢٠ ، ( ٣ ) يقول البلاذري : ١١٤ أن هرقل بقي في حصص حتى الجنادين ، وآخرون يقولون انه هرب منذ البداية الى انطاكية ، يقول ابن الاثير أن هرقل كان في القدس وعرض التسليم على الالهال فلم يقبلوا فذهب الى حصص وأرسل جيشاً تحت تشارق أخيه .

( ٤ ) ابن اسحق في الطبري : ٣١٠٨ ، لامنس : ٥٤ ، ( ٥ ) يقول الطبري : ١٥٠ ، ودحلان : ٢٢١ أن أبا عبيدة هو الذي كتب الى أبي بكر ، ويقول سيف واتباعه أن طلب النجدة من أبي بكر كان أثناء الترموك فكتب هذا الى خالد : انظر الطبري : ٢١١١ ، ابن الاثير : ٩١٥٦ ، ميور : ١٠٠ ، قابل في تاريخ الخطاء ج ١ ص ١٠ يقول أن خلافاً أني بعد سقوط بصري ومركة الجنادين

( ٦ ) يقول الواقدي : ٢٠ أن كتاب الامارة وصل خالداً مع نهم بن مقدم الكناني وكتب خالد الى أبي عبيدة عن عزله مع عامر بن الطفيل ، دحلان : ١٣ يعطى الاختيار نفسها ٢ البلاذري ١٠٩



ولترك الآن مسألة القيادة حتى ذلك الوقت . وبعده الى ما يلي هذا من الفصول .  
 وبعض الأجانب (١) لا يذكرون كتاب أبي بكر الى خالد ويكتفون بالقول  
 بأن خالداً ظهر أمام أسوار دمشق . ولربما يظنون أن خالداً أتى سورية من طوع  
 وإرادته ، وهذا خطأ على ما نظن . وخصوصاً لما عرفت من حب خالد أن يكون إفتاح  
 العراق على يده ومن حزنه لما أتاه أمر أبي بكر بالذهاب الى الشام (٢)  
 ويذكر عدد من الكتاب (٣) أن خالداً كان في الحيرة لما أتته رسالة أبي بكر  
 ومنها سار ، ويذكر الواقدي (٤) وحده أنه كان يكاد أن يفتح القادسية . وعلى كل  
 فانه قبل أن يترك العراق جعل المثنى بن حارثة الشيباني (٥) قائداً على ما بقي من  
 الجند وسار معه عدد غير معلوم من المصاكر يتراوح ما بين عشرة آلاف وبين  
 خمسمائة (٦) على أن العدد الأول مبالغ فيه جداً ، وبمكتنا أن نحكم من فرقة العراق  
 التي رجعت بعد فتح دمشق كان عددها سيمائة . إن الكنية التي سار بها لم تقل عن  
 الثمانمائة عدداً إذا حسبنا أن مئة جندي قتلوا منها (٧)

أما تعيين تاريخ سير خالد من العراق فذلك مسألة لم يحزم بها ويختلف ذلك  
 التاريخ من محرم عام ١٣ الى ربيع الثاني من نفس العام (أزار - حزيران ، ٦٣٤) (٨)  
 على أننا نجد الذين يذكرون التاريخ الثاني مخطئين اذا عرفنا أن معركة اجنادين  
 (٩) التي شهدتها كانت في جمادى الاولى وأن المسافة تقضى وقتاً طويلاً (١٠) وأن كنية  
 خالد أغارت على بني غسان في مرج راعط يوم فصحهم (١١) فبالنظر الى هذه الامور

(١) يكرر ١٣٤٩ سور ٥٤٥ (١) ابن اسحق في الطبري ، ٢١٢١ : لما أخذه خالد كتاب أبي بكر بأمره بالمسير الى  
 سورية قال هذا حمل الأعجمين أم شقة ( عمر بن الخطاب ) فقد كره أن يكون فتح العراق من يده (٣)  
 الطبري ١٩٠ : ابن اسحق في الطبري ٢١٤٩ ، سيف وأبو جعفر في الطبري ٢١١٢ و ٢١٠٩ (١) الواقدي .  
 ٢٠ (٥) الطبري ٢١٢٢ ، دحلان ٢٣ ، يعقوب ٩٥٠ ، ابن الأثير ١٥٦ ، البلاذري ١١٠ (٦) يقول  
 سيف في طبري ٢٠٩٠ عشرة آلاف ، دحلان ٢٣ يقول تسعة آلاف ، ابن الأثير ١٥٦ يقول ٥٠٠ أو  
 ٥٠٠ أو ٦٠٠ أو ٧٠٠ ، ويقول أبو جعفر الطبري ٢١٠٩ : ٥٠٠ أو ٥٠٠ ، ويقول  
 البلاذري ١٠٠ : ٥٠٠ أو ٦٠٠ أو ٧٠٠ (٧) يذكر في الطبري ٣٢ (٨) يقول البلاذري ١١٠ في ربيع الثاني عام  
 ١٣ ، وسيف في الطبري ٢٠٨٩ ، وأبو جعفر الطبري ٢١٠٩ ، ودحلان ٢٣ يقول إن خالداً وصل اليرموك  
 في ربيع الثاني عام ١٣ ، يقول بكر ٢١١ إن تاريخ وصوله الى دمشق كان في نيسان عام ٦٣٤ أو صفر عام ١٣  
 (٩) أنظر كلامنا فيما قبل (١٠) تستغرق المسافة بين الحيرة ودمشق شهراً إذا حسبنا أن نحسب أيام بين  
 قرقر وسوى طبري ، ٢١٢٢ (١١) طبري ٢١٠٩ ، بلاذري ١١٠



يمكننا قبول التاريخ الذي ارتأى قدى غوي وهو صفر عام ١٣ (نيسان ، ٦٣٤) (١) وهنا يتجلى لنا خطأ الذين يؤرخون مسير الجيوش من المدينة في أوائل عام ١٣ لأن سفر تلك الجيوش الى سورية وكتابة القواد الى أبي بكر في طلب النجدة بعد وصولهم الى سورية ثم كتاب أبي بكر الى خالد - كلها حوادث تقتضي وقتاً طويلاً لا يسمح به التاريخ المعطى (عام ١٣) ويسمح به التاريخ الذي يعطيه الآخرون وهو قبل نهاية عام ١٣

ولا يتفق المؤرخون في ذكر المدن التي أخذها خالد في سيره الى سورية (٢) على أن التامع التي وصل اليها دي غوي (٣) تهي بئرنا هنا . فقد فتح خالد في طريقه من الحيرة الى الشام المخلات الآتية : -

عين التمر فقراق فسوى (٤) قارك فدمر فالقريتين خوارين (٥) فرج راضط . وهكذا . يظهر أن مستشرقنا لم يسلح برور خالد بدومة الجندل بخلاف البلاذري وهو يعتقد أن مدينة (دومة) التي اقتحمها خالد كانت قرب الحيرة وليست دومة الجندل ، لأن حملة من الحيرة الى دومة الجندل هي نوع من الخروج عن القصد الأول من تلك الحملة ولكي يصل الى تلك المدينة عليه أن يختار ناحية السهارة بكاملها وهذا العمل إسرار بالوقت والقوة .

وقد سار خالد من مرج راضط الى بصرى حيث التقى بالقواد الثلاثة يزيد وشريحيل وأبي عبيدة ، فسأعدهم في فتح مدينة بصرى ثم ذهب وإياهم لينجسوا عمرو

(١) مذكورة دي غوي ٦٦٤٩ ، البلاذري ١١٠ يقول عاتق : عين التمر فصد ودار أو حمودار فصيد فقراق فسوى . قارك فدومة الجندل فسكرم فدمر فالقريتين لخوارين فرج راضط فدمشق . ويقول ابن اسحق في الطبري ٦٦٢٩ : عين التمر فقراق فسوى فرج راضط . ويرافق أبو جعفر الطبري على رأى البلاذري ، ويحقق عين التمر ودومة الجندل . مذكورة دي غوي ٤٩ - ٥٥ ، يروي معظم مؤرخي العرب أن من فقه الله بين فرات وسوى إلى خالد إلى رافع بن عتبة بن بشر بن رافة فصد واقع بين قطبان حتى لا أجهدهن قطناً لوردن فشر بن حتى إذا أبلان حمد اليهن فتنقطع مفاقرهن ثم كنهن لئلا يجتررن ثم أخل أبو بارهم فكلما نزل من لا بعد سير فأكث أربعة منهن فأخذ مائاً كراشاً بالصقاه الخيل ثم شرب الناس ما حملوا معهم من الماء . ثم حضروا في أصل شجرة فوسج فاستخرجوا عينا فصرير حتى روى الناس وقال أحد شعراء السليج

فد عينا رافع إلى لعتى فوز من فرات إلى سوى

عينا أذلما عاره الجيش يكي ما بارها فبكك اني يري

... بعد خوارين ثلاث ساعات عن القريتين ويقول أبو حنيفة في نفسها : بانوت ج ٣ ، ٣٠٨



ابن العاص في وادي العرب . على أن البيزنطيين غيروا مكانهم وقصدوا اجنادين (١) ويقول بعضهم إن خالداً ذهب إلى دمشق وجعل مركزه في الثنية وبعد بضعة أيام قصد الحارثيون هناك ذهب وبنى عبيدة إلى بصرى ليجدا شرحبيل (٢) ويقول بكر إن خالداً عرف ضعف حركة المسلمين في الجنوب فصار بدون أن يحسه أحد من أسوار دمشق إلى جهة الجنوب، وهكذا برهن عن ضخمة عظيمة وإنكار ذات، وهناك شاهد قواد المسلمين منهمكين في منافعهم الشخصية قرب وادي العرب . وبعد أن انقضى بهم ساروا جميعاً للاقوا البيزنطيين تحت قيادة تيودورس، وقد اتخذوا اجنادين أو جناتين مركزاً لهم (٣) ويتفق هذا الرأي مع طبيعة الفتح الإسلامي، وبصور لنا القواد وجيوشهم بشكل غزاة يهجم السلب فوق كل شيء، على أننا لا نعلم مقدار هذا الحديث من الصحة

## (٦)

### موقعة اجنادين

وبعد ما انتصر العرب في دأش صاروا يغزون فلسطين الجنوبية حتى مدينة غزة، فأمر الامبراطور أخاه تيودورس أن يسير في جحفل إلى جنوبي دمشق بدون أن يكون له خطة معينة للهجوم، لأن العرب لم يكن لهم قصد متضح في غزواتهم، إذ كان كل قائد يرئد الحمل الذي فيه فرصة كبرى للكسب، ومن الممكن أن تكون جيوش تيودورس قد ظهرت فرقة من العرب في شرقي الأردن، ولكن هذا القائد تقدم إلى جهة الجنوب حيث حدد الخطر أملاك البيزنطيين، لأن أو رسلهم لم يعد لها منفذ إلى البحر، وأصبحت غزة وقيصرية في الخطر الشديد (٤) وفي هذه الظروف أتى خالداً كما أشرنا سابقاً (٥) والتقى مع العرب وسار الجميع ليتحدوا مع البيزنطيين في معركة قرب اجنادين .

أما اجنادين، مكان المعركة، فاتها مع أن موضعها غير معين بالضبط، من كورة

١. انضمت مدينة بصرى على دفع الجزية . بشأن هذه راجع الطبري ابن اسحق، ٢١٣٥، مذكورة

في غزوي ٤٩، الواقدي ٩٠ يقول إن بصرى فتحت ببيعة حاكمها يرماس

(٢) بعد الحارثي تهويوم إلى جنوب شرق دمشق، البلاغري ١٨٦ - ١٨٣، وثبت ذلك راية القس التي

كانت للرسول على الثنية ومن ذلك سميت ثنية الخاب . ثم فتح أبو عبيدة مؤلف في القاصص ٣١٠ بكر حب ٣١٠

ابن الاثير ١٠٧٢ وغيره ممن يختلفون أن اليومك كان في ذلك الوقت يقول إن خالداً ذهب من بصرى للاق

المسلمين على اليومك

(٣) بكر في تاريخ كبري دج للتصور الوسطى ج ٢ ص ٣٤١ (٤) راجع الصفحة السابقة، يقول الواقدي

ص ٣١٠ أن المسلمين كانوا قد ابتدأوا حصار دمشق ولما اقرب جيش البيزنطيين تحت قيادة وردان، أجبرو



بيت جبرين (١) وبعضهم يضعونها بين هذا المكان والاملة (٢) وغيرهم يقولون أنها بين القدس وغزة (٣) وكلا الرأيين على صواب ، على أن الأول أصبط . ويختلف المؤرخون في عدد جيوش البيزنطيين فيالغ البلاذري في قوله أنهم كانوا مئة ألف محارب (٤) ويقول لا منس عندما يتكلم عن ذلك الجيش ، تلك الآلاف القليلة من حاميات المدن والعاكر الامبراطورية بدون تدريب حربي لم تكن لتوقع الرعب في قلوب العرب (٥) على أنه يبالغ في قلة تنظيم الجيش البيزنطي وفي قلة عدده ، ولا نعلم الى أي المصادر يستند في قوله هذا .

وانتصر العرب على الأعاجم ، ولكن من كان قائدهم ؟ وهل كان لهم قائد واحد في تلك المعركة ؟ ذلك سر غامض مع أن بعض كتاب العرب (٦) يعترفون بقيادة خالد في هذه المعركة . على أنه ليس من المستبعد أن نرى في خالد القائد المنتصر والشخصية البارزة في تلك المناسبة وهذا راجع الى شجاعته ووسطوته . وقد وقعت المعركة في ٢٨ جمادى الأولى عام ١٣ (٣٠ تموز ٦٣٤) حسب قول عدد من المؤرخين (٧) ، على أن بعضهم يقدمونها أو يؤخرونها أسبوعاً (٨) ويروي سيف بن عمرو وأتباعه أنها حدثت بعد فتح دمشق ويضعون اليرموك مكانها ، وسرى كيف وقعوا في الخطأ .

وصارت فلسطين بعد انتصار العرب ميداناً حراً لأعمالهم المختلفة ولكن المدن ذات الحصون المثينة قاومت مدة طويلة . وتحملت الفوضى ربوع فلسطين كما يتضح لنا من خطبة صوفرونيوس في اورشليم .

ومن الموافق في هذه المناسبة أن نذكر آراء العلامة الكبير دي غوري في موضع اجنادين وعدم تمييزها من اليرموك . يقول حضرته (٩) ان الرواية التي تحصل موقعة اليرموك في هذه الآونة بدل اجنادين ، قديمة لم يخترعها سيف بن عمرو . وأنه

أن يتركوا الحصار ويحاربونهم (١٠) يجوز اجنادين و اجنادين بلح الهل ولكن الثانية أصح . راجع شامتومها في كورة يده . جبرين معجم البلدان ج ١ ص ٢٦٠

(٢) انظر ابن اسحق في الطبري ٢١٦٥٠ ، ابن الاثير ١٦٠ (٣) يكر . ٣١١ يقول كرد علي في خطط الشام أنها قرب القدس وهذا ليس بواضح (٤) فخر البلدان ١١٣

٥٠ لا منس . سوريه ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، راجع سير خالك الى سوريه

٦٠٠ أبو زيد ، ابن اسحق في الطبري ٢١٣٢ و ٣١٣٦ . يعقوب ج ٢ ، ص ١٥١٠ ومؤرخون أهاب مثل فابل دي غوري ، يكر . يقول جبر . ٣١٨ أنها حدثت في ١٣ تموز عام ٦٣٢ . ٣٠ ربيع الثاني عام ١٢ . وهذا مالا يمكن تصديقه ، بطي البلاذري ، ١١٤ هذه التواريخ للمعركة ١٤ جمادى الأولى ، ١٠ و ١١ و ٢٥ جمادى الاخرى عام ١٣ ، والواقدي ، ٥٩ يقول ٦ جمادى الأولى عام ١٣ ، مذكورة ص ٥٩ ، يقول ان اجنادين ليست مشتقة من كلمة ، جند . ولكنها اسم مكان أصلي



لبن الواجب علينا أن نجد أصل هذه الرواية . يقول ابن اسحق ان اجنادين واقعة بين الرملة وبيت جبرين ( ١ ) ويضعها البكري بين الرملة والخليل ( حبرون ) . وهنا تماماً بين هذه المدن نجد « يرموث » القديمة التي كانت تدعى « يرموثشا » وحيث يعين المكتشف « رونسون » موضع اليرموك . فإذا سلمنا بأن اجنادين هي قرب اليرموك ( يرموث ) ظهر النور في حالك الظلام . إذاً هناك معركة كان تدعى اليرموك ، فالأولى هي يرموك ( يرموث ) وهي موقعة اجنادين التي نحن بصدد ها ، والثانية هي يرموك ( هيروماكس ) وهي التي يذكرها الكتاب عادة ، والتي اتخذت اسمها من نهر اليرموك . وقد سبب إبدال يرموك ( يرموث ) بيرموك ( هيروماكس ) تلك الأغلاط في تعيين التواريخ . وسبب الخطأ في رواية سيف هو انه لم يفرق بين أخبار هيروماكس وأخبار اجنادين أو يرموك ( يرموث ) ، أي انه عرف بحدوث معركة اسمها اليرموك ، ولكنه لم يميز الأولى أي يرموث من الثانية أي هيروماكس ، فلذلك روى أخبار هيروماكس بدلاً من يرموك أو اجنادين .

إن هذه النظرية خطيرة جداً ومفيدة ، لأنها تشرح لنا أسباب الخطأ في كثير من تواريخ العرب وكتب الأفرنج الذين تبعضهم على أن نقطة الاتصال ضعيفة بين القرية المدعوة يرموث والمكان المعروف باجنادين . فإذا عرفنا أن المكان ، اجنادين ، كان يدعى أحياناً باسم المكان الذي قرىبه أي يرموث الخبيث لا بأش من قبول هذه النظرية لما فيها من الفائدة .

## — ٧ —

### حوادث هامة في العالم الاسلامي

#### وفاة أبي بكر ومأساة قيادة الجيش

ويعد أن انتصر العرب في موقعة اجنادين بوقت قصير ، توفي أبو بكر ، وتاريخ وفاته متفق عليه تقريباً ، فال مؤرخون لا يختلفون بأنه حدث في شهر جمادى الثاني عام ١٣ ( آب ، ٦٣٤ ) . على ان هنالك اختلافاً فيما اذا كانت وفاته في الحادى أو الثانى والعشرين من ذلك الشهر ( جمادى ) أي ٢٢ أو ٢٣ آب ( ٢ ) . ولر تباد

١٦٧٥ : الطبرى

٢٥ : الواقضى وحده يقول من « انه توفي في ٢٩ جمادى الاولى عام ١٣ ، أى أن اجنادين كانت في ٩ جمادى الاولى أى ٢٣ يوماً قبل وفاته » . ابن اسحق الطبرى ٢١٢٧ يقول سبع أو ثمانية قبل آخر جمادى الثانى يقول ميرو ٢٩ جمادى الاولى ولكن الاخرين يقولون في ٢٩ جمادى الثانى ابن الاثير ١٦٠ ، أبو الفدا ١٦٧ ، أبو زيد في

الطبرى ١٦٢٨ ، العقد الفريد ج ٢ : ١٩٨ ، البخارى : ١٥٤



التاريخان على نفس النهار لانه باختلاف الحسابات و رقبا القمر أعطى نفس النهار تاريخاً مختلفاً في سجلات مختلفة . أما البلاذري الذي يضع معركة اليرموك بعد معركة اجنادين ، وسيف بن عمرو ( ١ ) ، قائما بقولان ان خبر وفاة أبي بكر وصل المسلمين أثناء معركة الياقوصة على اليرموك .

وبما أن أبا بكر توفي في أواخر جمادى الثاني ، فإن خبر وفاته يجب أن يكون وصل المسلمين في شهر رجب لأن العهد لم يكن عهد برقيات لاسلكية . لذلك وجب أن تكون المعركة حدثت في شهر رجب إذا صدقنا أقوالهم من أن خبر وفاة أبي بكر وصل أثناء المعركة . فلذا حدثت المعركة في رجب ، ونحن نعلم ان معركة اليرموك حدثت في رجب عام ١٥ . فقد يكون سيف وأصحابه قد ضلوا افوضوا معركة اليرموك ( هيروماكس ) بدل يرموك ( يرموث ) التي حدثت عام ١٣ للهجرة . وبالفعل فإن البلاذري يعود فيذكر معركة اليرموك ثانية في رجب عام ١٥ بعد أن ذكرها عام ١٣ ( ٢ ) .

أما مسألة قيادة الحشوش الإسلامية فإنها ذات شأن كبير في هذه المناسبة ولها علاقة كبيرة بفتح دمشق كما مر . وقد تعلل بها أكثر من دواع واحد . يقول عدد من كتاب العرب انه لما تولى أبو بكر أصبح عمر بن الخطاب خليفة فمزل خالد بن الوليد من القيادة العليا وذلك لمداداة شخصية بين الاثنين . يذكر بعض المؤرخين حكايتها مطولا و يروون القصص في شأنها ، وقد قيل أن أبا بكر كان أعطاه هذه القيادة حين مجئته إلى سورية ، وولى عمر أبا عبيدة مكانه . على أن كتابنا لا ينفقون على الوقت الذي تولى فيه أبو عبيدة القيادة العليا ، فبعضهم يقول انه كان قبل حصار دمشق وآخرون يقولون بعده . والذين يضعون معركة اليرموك في تلك السنة يقولون ان أمر عمر بتولية أبي عبيدة أتى أثناء المعركة مع خبر الوفاة ولكن أبا عبيدة كتبه حتى انتهاء المعركة ( ٣ ) . يقول دي غوري ( ٤ ) في هذا الصدد ان عدم التفريق بين اليرموك الأولى

١٥ . البلاذري ١١٥ سيف في الطبري ٢٠٩٦ . وقابل في جين على جاش ص ٣٣٣

٢٥ . البلاذري ١٣٦ . سيف أبو جعفر وابن اسحق في الطبري ٢٠٩٦ . ٢١٤٤ . ٢١٤٦ . البغوي ١٥٨ : ولم يخبر أبو عبيدة خالها عن عزمه إلا بعد انتهاء الحصار حين قال خالد ، رحة الله على أبي بكر ، لو كان حيا ما عزاني . البلاذري ١١٥ . ووصل الكتاب مع هامر بن أبي وقاص إلى أبي عبيدة فمزلهم . واصل المسلمون محاصر بن دمشق فكتبه أبو عبيدة ، الواقدي ، ٢٦ يقول ان خالها عزل بعد حصار دمشق ، الضري ٢٦ يقول ان أبا عبيدة تلقى خبر عزمه فيما السلطون يحاربون والخبر خالد عن عزمه بعد سقوط دمشق وأعطى خالد المائدة التي أتت الحصار ٢٥ . يذكره ص ٦٥



والثانية ومعرفة بعضهم ، ان احدا من كانت آخر مشهد لقيادة خالد، حمل بعض المؤرخين على الاعتقاد بعزله في اليرموك الأولى . والواقع لم يكن هنالك معركة تدعى اليرموك لعزل أسماءها . إن بعض كتابنا لم يفرقوا بين هذه المعركة التي هي معركة اجنادين ومعركة اليرموك الحقيقية في رجب عام ١٥

ولنرجع الى الحقيقة ولنبحث فيما اذا كان خالد قائداً آتدا لعزله عمر من القيادة . يقول بكر ( ١ ) انه لم يكن هنالك قائد للجيش الاسلامي معين من لدن المراجع العليا ، حتى ذلك الوقت ، واذا كان خالد قد ظهر بمظهر القيادة ، فذلك لأن القواد الآخرين انتخبوه لشجاعته . وهنالك شيء هذا المعنى في احدي روايات البلاذري التي ذكرناها آنفاً ، ويمكن تثبيت هذا الرأي اذا علمنا أن خالداً انتخب أميراً على الجيش يوماً واحداً وذلك يوم موقعة اليرموك كما رواها سيف ( ٢ ) . ويسلم بكر ( ٣ ) بأن خالداً كان قائداً أثناء المدة التي انقضت بين موقعة اجنادين ومحاصرة دمشق، ولكن لا يوافق على فكرة وجود قائد عام معين بصفة رسمية إلا بعد معركة اليرموك عام ١٥ عندما أرسل أبو عبيدة كقائد عام لتلك الجيوش . ويقول ميور ( ٤ ) ان خالداً حمل زملاءه من القواد الآخرين على تسميته قائداً في يوم اليرموك كي لا نوقد نار الحسد في قلوبهم بنيله القيادة مباشرة بل لينالها برضى باقي القواد ، مع انه يقول قبل ذلك ان تعيين خالد قائداً لا يتفق مع فكرة القيادات المتفرقة التي منحها أبو بكر في بادئ الامر

ويذكر دي غوري أن القيادة كانت بيد عمرو بن العاص حتى مجيء خالد ( ٥ ) من العراق وربما ظلت كذلك حتى معركة اجنادين ، وذلك لأن ابن الأثير الذي يعين معركة اجنادين في عام ١٥ — وكان عليه أن يضعها في عام ١٣ — يذكر أن عمرا كان القائد ( ٦ ) وقد يحدد الباحث اشارات الى هذه الفكرة في بعض مؤلفات تقرأ فيها أن باقي الجيوش استشارت عمراً عندما أتت جيوش هرقل ، وأن عمرواً هو الذي كتب الى أبي بكر عن الجيش الميزنطي الكبير ( ٧ ) ولكننا لا يمكننا الاعتماد على هذا الرأي الى أن تظهر براهين أكثر وأقوى .

١٠ بكر ٣٤١ ، البلاذري ١٠٩ ، وقد يكون انتخبه الامراء أميرا عليهم الأمانة ؛ سيف في الطبري ٢٠٩٢

١١ بكر ٣٤٣ ، ميور ١٤٢

١٢ ومذكورة في الطبري ٣٤٠ مع أن ابن الأثير يضعها في عام ١٣ أيضاً

١٣ ، البلاذري ١٠٩ ، سيف في الطبري ٢٠٩٢



وإذا كان أبو بكر قد أمر خالداً أن يتولى قيادة الجيش عند قدومه إلى سورية فليس ثمة من داع لأن يعزله عمر (١) يقول دى غوى إن من الخطأ تصديق قول كثيرين بأن عمر ولي أبا عبيدة القيادة مكان خالد حين أصبح خليفة بعد أبي بكر لأنه كان في إمكانه أن يأمر بذلك العمل عندما كان الخاكيم الحقيقي في خلافة سلفه ، ولا يصعب عليه عمل مثل هذا وهو الذي حل أبا بكر على عهد اللواء يزيد بن أبي سفيان يدل خالد بن سعيد في بادئ الأمر (٢) وهو الذي أشار إلى أبي بكر بأن يأمر خالداً أن يذهب لنجدة أخوانه في سورية ولم يكن أمره هذا لأنه كره أن يفتح العراق عن يد خالد كما أشار بعض مؤرخي العرب (٣) على أننا نقول رداً على رأى دى غوى هذا بأنه لم يكن في إمكان أبي بكر أن يقبل كل نصائح عمر ، وإذا كان قد عمل ببعضها ، فليس ذلك بمرهان على أن كل ما يقوله عمر كان يقبله أبو بكر وبأمر بتنفيذه

ولنوجه نظركم الآن إلى هذه النقطة . من قادم الجيوش الإسلامية بعد شهر رجب عام ١٣ وأثناء محاصرة دمشق لأنه على كل حال هذا ما يزيد الوصول إليه من كل هذا البحث ، ومعرفة من كان القائد أثناء الحصار مهم جداً وله علاقة قوية بطبيعة الفتح كما سنرى . يقول بعض مؤرخي العرب وكتابهم إن أبا عبيدة كان القائد بدل خالد ، على أن بعضهم يقررون ببقاء القيادة في يد خالد إلى ما بعد الفتح كما أشرنا سابقاً (٤) ولكن هذا خطأ حسب رأى دى غوى ، فهو يستند على يوتيشيوس بقوله أن عمر عزل عمر وأمن القيادة وولى خالداً مكانه (٥) وهذا يخالف آراء أكثر كتاب العرب ولكن يقطع النظر عن قيادة عمرو وعزله منها فإنه يمكننا أن ندعم فكرة قيادة خالد بعد شهر رجب عام ١٣ وأثناء حصار دمشق بضعة حجج تثبت هذه الفكرة كما فعل العلامة دى غوى . أعلم أن خالداً هو الذي وقع المعاهدة التي تلت فتح دمشق عام ١٤ ، وليس ذلك فقط بل هو الذي صادق عليها وأثبتها في شهر ربيع الثاني عام ١٥ عندما طلب منه الأسقف ذلك يوم خرج إلى اليرموك ، وقد كان أبو عبيدة أحد الشهود فقط على تلك المعاهدة (٦) وهذا صحيح حسب قول البلاذري وهو ما يجعلنا

١ - مذكرة دى غوى ٦٦-٦٧

٢ - راجع ما كتب من هذا المقال قبل

٣ - انظر هامش نمر ٣ من ١٧٧ ، انظر هامش نمر ٣ من ١١٠ من هذا البحث

٤ - مذكرة دى غوى ٦٧

٥ - البلاذري ١٣٣ ، انظر أيضاً في هذا البحث



# تاريخ الحرب الأهلية

## في روسيا

في أكتوبر سنة ١٩١٧ تار الروسيون ثورتهم الهائلة التي يعتبرها الكثيرون بدء عصر جديد في تاريخ البشر.

وقطعت الحرب الأهلية بعد ذلك عدة فترات تمتاز كل منها بصفات خاصة ، فمن ذلك فترة الحرب ضد بولونيا ، وهي التي قال فيها لينين ، إن القوة الأساسية التي سادت بولونيا إلى عمارتنا هي بلا شك ضغط الدولة وبخاصة رأس المال الفرنسي ، وليست بولونيا — ومثلها فرائجل — إلا آلة في يد الاستعماريين الفرنسيين . . . . . إننا هزمنا للجيش البولوني قد مرقنا صلح فرساي الذي تركز عليه جميع المناسبات والعلاقات الدولية في الوقت الحاضر .

ومن الفترات المهمة أيضاً في تاريخ تلك الحرب الأهلية فترة كرونستادت ، التي ابتدأت فيها حرب العصابات الساسية فكانت حملات الرجعيين من ملاك الأبعاد والرأسماليين ، الوطنيين ، ثم من كتاب الألمانين والنصارىين التي انتهت بعقد صلح برست ليتوفسك ، ثم من الهرجوازيين الذين جندتهم المجلترة وفرسا من روسيا والأمم المجاورة ، وقد أعلن تشرشل إذ ذاك تعجبه لتلك الجبهة التي اشترك فيها ١٤ شعباً ضد البلاشفة .

•••

ولكن فهم حقيقة الثورة الروسية الثانية سنة ١٩١٧ يلزمنا أن نلم بشيء من تاريخ الثورة الروسية الأولى سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ وهي من أوضاع الأمثلة لاختلاب الاضطراب الاقتصادي إلى اضطراب سياسي ثم إلى عصيان مسلح إلى قلاقل محدثها الفلاحون .

وقد بلغ عدد التواحي ( المراكز ) التي اشتركت في حركة سنة ١٩٠٥ من يناير إلى أبريل ٨٥ ومن مايو إلى أغسطس ١٠٤ وفي سبتمبر وديسمبر ٢٦١ أي ٥٢ في المائة من مجموع مراكز روسيا الأوروبية . أما في سنة ١٩٠٦ فقد ابتدأت الحركة من يناير إلى أبريل بعشرين مركزاً وصلت في مايو وأغسطس إلى ٢٥٠ أي



٥. في المائة من المجموع ، ثم هبط عددها في سبتمبر وديسمبر إلى ٧٢ مركزاً وقد بلغ عدد الحوادث المسلحة في سنة ١٩٠٥ حادثتين من أبريل إلى يونيو و٨٩ حادثاً من أكتوبر إلى ديسمبر، وكان حزب البشفيكي هو المنظم والقائد لهذه الحوادث

وقد انشأ حزب البشفيكي سنة ١٩٠٣ بإتظام حزب العمال الروس - الاشتراكيين الديمقراطيون - الذي كان مجتمعاً في لوندرة إلى قسمين - قسم البشفيكي أي الاكثرية برأسهم لينين وقسم المشفيكي أي أقلية المجتمعين برأسهم مارتوف ، ونقطة الخلاف الأساسية هي (١) أصر لينين على أن لا يعتبر عضواً في الحزب إلا من كان مشتركاً في إحدى فروعها في البلاد المختلفة، بينما أراد مارتوف أن يعطى الفرصة لجميع مفكري البرجوازي وصغار البرجوازي المعارضين للحكم المطلق أن يعتبروا أنفسهم أعضاء بالحزب (٢) أرادت الأقلية ( المشفيكي ) الائتلاف مع الأحرار ( ليبرال ) والاشتراك في العمل مع البرجوازي ، على نقيض لينين الذي يعمل على متابعة الطبقة العاملة لكفاحها الثوري

٥٥٥

وقد استفاد البلاشفة كثيراً في ثورتهم الثانية من نجاحهم في ثورتهم الأولى كما أنها هي التي علمت المجموع ما يلزم أن تقوم به من الحركات ، وهذا هو السر في سرعة نجاحهم ، فقد بلغ عدد العمال المضربين ١١٤ ألفاً في سبتمبر سنة ١٩١٥ ، ١٨٧ ألفاً في أكتوبر سنة ١٩١٦ ، ٤٣٢ ألفاً في فبراير سنة ١٩١٧

قال لينين « ولولا ثورة سنة ١٩٠٥ و ١٩٠٧ والحركة الرجعية أي المضادة للثورة سنة ١٩٠٧ و ١٩١٤ لكان من المستحيل أن يتم ذلك التحديد لجميع طبقات الشعب الروسي والشعب المقيم في روسيا ، ذلك التحديد الدقيق لعلاقات هذه الطبقات بعضها بعض وبالحكم القيصري ، كما ظهر في ثمانية أيام ثورة فبراير سنة ١٩١٧ إن هذه الثورة ذات الثمانية أيام - هي إذا جاز لنا أن نقول - قد لعبت بعد عشرات المحاولات والبروقات القومية ، فكان الممثلون يعرفون كل منهم الآخر كما يعرفون أدوارهم وأماكنهم من الألف إلى الياء ، حتى أصغر الفروقات الضئيلة في الاتجاهات السياسية وطق العمل

وقد استفاد العمال في المدن والفلاحون في الأرياف من نجاح الثورة الأولى في حركاتهم من فبراير حتى انتصارهم في أكتوبر سنة ١٩١٧ وقد قام العمال والجنود



يوم ٤ أبريل في بتروغراد بمظاهرات هائلة جارية قاصطدموا اصطداما دمويا بجنود البوليس وكتائب الحكومة المؤقتة. وهنا نشطت الرجعية وحاول الجنرال كورتيلوف أن يزحف على بتروغراد في أغسطس فهزمه الثوار من العمال والبحارة والجنود وقبضوا عليه. وفي سبتمبر قررت مجالس السوفيت في موسكو وبتروغراد بالأغلبية الساحقة، القضاء على سياسة الحلول الوسطى والصلح مع البرجوازي.

وأخذ العمال يقدمون مطالبهم المتضاربة المشبكية كطلب الرقابة على العمال وتقليل أرباح أصحاب المصانع وملكية الدولة للشروعات، وتسليم الأرض للفلاحين.

لم يكن العامل يكافح من أجل مصلحة طائفة لاغير، بل كان يعمل كزعيم للفلاحين والجنود وذلك من الاهمية بمكان. وغدت الجنود التي أنهكتها الحرب والتي كانت تطالب بالسلام بأي ثمن تغادر جيش الحكومة في سبتمبر وأكتوبر لتجارب يأس وغلبة ضد الحكومة. ووصل تمرد الفلاحين في القرى الى درجة الحرب الأهلية.

قال لينين: لقد وجهنا كل هذا في أكتوبر الى أن نكنس بضربة واحدة ذلك العدو الأزلي للفلاح. ونعني بهم سادة الاقطاعيات وملاك الأباغيد. لقد كان ذلك كفاح الفلاحين كاقتمهم اذ لم يكن قد وجد في أوساط الفلاحين حدود بين البروليتاريا (أي الفقراء الذين يعملون بالأجر) وانصاف البروليتاريا بوصفها الفلاحين والبرجوازي. لقد ازدادت ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ بما لدى الشعب من التجارب التي اكتسبها في الثورة الأولى كما وسعت من نطاق حركات جموعه وحولت حربه الاستعماري (في الحرب العظمى) الى حرب أهلية سنة ١٩١٨ - ١٩٢١. وكان لينين إذ ذاك يتساءل باهتمام عما اذا كانت بروليتاريا المدن (العمال) ستتمكن من أن تجذب معها بروليتاريا الأرياف، فقد كانت جموع الفلاحين قبل ثورة أكتوبر، بل وائتاءها والى انتهاء الحرب الأهلية - تنذب بين البرجوازي والبروليتاريا.

قال لينين: ان الذي تخبر حياة القرى واحتك فيها بجموع الفلاحين لابد أن يقول: إن ثورة أكتوبر في المدن لم تصل الى القرى بشكلها الكامل الا في خريف سنة

١٩١٨.

ولكى نفهم مقدار اتساع وحدة ثورة أكتوبر والحرب الأهلية التالية لها والتي دامت ثلاث سنين سنة ١٩١٨ - ١٩٢١ يلزمنا أن نلقي نظرة على تلك التغيرات التي أصابت الشؤون الاقتصادية والسياسية في تلك البلاد قبل ذلك

فقد عمل ستولين مدة رئاسته للوزارة سنة ١٩٠٩ - ١٩١١ على تكوين طبقة



من البرجوازي في القرى يكون وجودها معزولاً للحكم القيصري، ففرض بنحو ٢٥ في المائة من أملاك الأشراف المبيع وسمح للفلاحين أن يعتبروا أنفسهم مالكيين للأراضي التي كانت ملكاً شيوعياً لقرية، وبهذا الشكل ازدادت فوارق الطبقات بين مختلف الفلاحين أنفسهم.

ثم أدخل من التطلم في الشؤون الحركية وغيرها مما جعل المزارع الانقطاعية تنهقر ليحل محلها المزارع الرأسمالية، وكذلك فعلت الاحتكارات والتجارات أصحاب المصانع بالصناعة فنشأت البرجوازية الرأسمالية في الصناعة والتجارة. وزاد فقر الطبقات العاملة فأوثق ما بين أفرادها وطوائفها من الصلات

وجاءت الحرب العظمى فزادت عملية تنازع الطبقات قوة وسرعة فتركزت العناصر لرأسمالية في قطب، والطبقات العاملة في القطب الآخر. وقد ظهرت علاقات هذه الطبقات بعضها البعض بصورة واضحة في ثورتَي فبراير وأكتوبر سنة ١٩١٧ ومن بعدهما. وفي الحروب الأهلية سنة ١٩١٨-١٩٢١ التي كان الحزب الباشيكي يتولى فيها قيادة العمال والفلاحين ضد رأسمالي ذلك الأقليم البالغة مساحته مئتين مساحة الدنيا، وهذا هو السر في استقلال مولدو، وأسماليين ضد التتار ومن مساعدة الانجليز والفرنسيين والأمريكان واليابانيين لهم لا بالمال والدخائر والقوادير تدعيم الدساتير والمزامرات وإشغال الفتن فقط، بل بأرسال الكتيائب المسلحة لمحاربة جمهورية السوفيت. وقد تكلم لينين في بوليه سنة ١٩١٨ عن القوات الأجنبية الحربية في المورمان والجهة الشيكو سلوفاكية وجهات التركستان وباكو واستراخان، قال: «وانها لحظة واضحة، منظمة ومقصودة دبرها تمثلوا الاستعمارية الإنجليزية والفرنسية بعناية ومكثوا أشهراً يعدون ما يلزم لتنفيذها» ومرى هذه اللحظة اتحاد ميدان رجس حربي ومالي أمام جمهورية السوفيت.

على أن الروس قد انصرفوا في كل هذه الجبهات، لأننا برهنا على أن عمال دول الحلفاء أقرب إلينا منهم إلى حكوماتهم، ولأننا أخذنا من الحلفاء جنودهم، ولأننا عرفنا أن توجد العلاقات الصحيحة بين الحزب الشيوعي القائم بالقيادة وبين البروليتاريا الثائرة والجمهور، وأنزلنا المزعجة بأعدائنا الأقوياء، لأن الوفاق لم يكن سائداً بينهم، ولا ممكناً سيادته بينهم وكانوا كلما زادوا شهراً في عمارتنا أوقع ذلك فيهم انحلالاً مستعراً.



وقد عانى الروس في حربهم الاهلية من المصاعب شتاً كثيراً ولا سيما في حربهم ضد بولونيا ولم يكن لهم في أوائل سنة ١٩١٨ جيش على الاطلاق وعانى القوم في اتحاد هذا الجيش صعوبة كبيرة لانهم لم يكونوا قد فكروا في أمره قبل ذلك حتى ولا من الوجهة النظرية.

ولكن هذه الصعوبات قد ذلك في بحر العلم وساعد على ذلك وجود كميات كبيرة من الاسلحة والعمال الدارسين القواعد الحرية ونشر الدعوة السياسية في جبهة القتال وقد دامت هذه الحرب الاهلية التي أطرها الحلفاء ثلاث سنين اشتعلت فيها كل قرية وكل مصنع، وقد أحصى بعض ما خرب فيها ٣٥٩٧٥ جسراً عادياً و ٣٦٧٢ جسراً من جسر السكك الحديدية و ٤٣٣١ محطة نقل كهربائية و ٨٦٥٠٠ فرسخ من الاسلاك الكهربائية . أما في الزراعة فقد قصت مساحة الأرض المزروعة بالحبوب في سنة ١٩٢٠ - ٢٣ في المائة عما كانت عليه سنة ١٩١٦ وقصت الأرض المزروعة بالقطن والذبحان وغيرها من نباتات الصناعة ٥٦ في المائة وأما محصول القطن الواحد فقد كان في سنة ١٩١٧ يتج ٩٢ في المائة من محصول قبل الحرب فوط في سنة ١٩٢٠ الى ٧٠ في المائة فقط . ومط مقدار الاغنام في سنة ١٩٢٠ الى ٥٥ في المائة والبقر الى ٧٩ في المائة عما كان عليه في سنة ١٩١٦

وهكذا تدهورت الصناعة كثيراً فقد خبط صنع كزادة من ١٠٠ في المائة سنة ١٩١٣ الى ٧٧ في المائة سنة ١٩١٧ ثم الى ٣٥ في المائة سنة ١٩١٨ ثم الى ١٨ في المائة سنة ١٩٢٠ وكان مقدار ما ينتج من الاصناف الآتية بالنسبة الى ما قبل الحرب كالآتي : الحديد الخام ٢٤ في المائة والنحاس في المائة والازوت ٤ في المائة وبناء عربات السكك الحديدية ٢٢ في المائة وقاطراتها ١٤ في المائة والمحاريت ٣٣ في المائة والسكر ٦٧ في المائة والخيوط القطنية ٥ في المائة

وهبطت الصناعات الصغيرة الى نصف ما كانت عليه قبل الحرب وبلغ ما يلزم اصلاحه من قاطرات السكك الحديدية ٥٧ في المائة ومن عرباتها ٩٣ في المائة ويمكن تلخيص هذه الخسائر كالآتي . نزلت المحاصيل الزراعية في آخر الحرب العظمى الى ٨٨ في المائة وفي آخر الحرب الاهلية الى ٩٢ في المائة عما كانت عليه قبل الحرب والصناعة الى ٧٧ في المائة في آخر الحرب العظمى و ١٨ في المائة في آخر الحرب الاهلية ولقد كان الجيش الاحمر يتلقى وحده ٢٥ في المائة مما تنتجه البلاد من الدقيق و ٤ في المائة من علف الحبوب ومن الدهن والصابون والانسجة القطنية و ٦٠ في المائة



من اللحوم والأسماك والسكر و٩٠٠ في المائة من احذية الرجال و١٠٠ في المائة من الدخان

هذا ولن نفهم تاريخ الحرب الاهلية جيدا الا اذا أرجعناها من حيث مبرراتها وتطورات سيرها الى القواعد الاقتصادية . فقد تأخرت الصناعات الكبيرة في ذلك العهد وتأخر معها بالتبع صناعة الآلات الحربية وانما انتفع المقاتلون بما لديهم من احتياطي الحرب العظمى وما كانوا أحرزوه من الغنائم ثم من الاقتصاد في صرف الأسلحة .

تقهر انتاج البنادق سنة ١٩٣٠ الى ١ ما كانت عليه سنة ١٩١٧ والمدافع الرشاشة والرصاص الى أقل من النصف ووصل عدد القاطرات وعربات السكك الحديدية الى النصف ومع ذلك فقد أدت مهمتها في نقل الجيوش وتموينها بكفاية زائدة وكان عدد الجيش في الحرب الاهلية أقل من نصف عدد الجيش القيصري مدة السلم وكان سلاحه البنادق والمدافع الرشاشة ولم يكن للطورجية فيه دور كبير ومن اسباب تقهر الصناعات الحربية في الحرب الاهلية بالنسبة لما كانت عليه في الحرب العظمى هي ان الأخيرة كانت حربا بين رأسماليين العالم ، وكان هؤلاء يمدونها بأموالهم وكان النظام الاقتصادي الرأسمالي ثابتا . وفيما النظام الاشتراكي لم يكن قد تأسس في روسيا بطاحين تصوب الحرب الاهلية فيها ، يضاف الى ذلك أن جبهة القتال في الحرب العظمى كانت ثابتة الى حد كبير بعكسها في الحرب الاهلية فقد كانت كثيرة التقل وكأنت الحرب تأخذ أحيانا شكل حرب العصابات

\*\*\*

وتعتبر التجارب التي وقعت في هذه الحرب ذات أهمية عظيمة . فقد كانت مساحة جغرافية كبيرة مثارا للاهتسامات القومية والطبقية ، وكان الجيش الاخر يتحرك بسرعة فيضرب جيشا معاديا ثم يتحرك من قبل أن يجهز عليه ليضرب جيشا يكون قد تكاثر عدده في مكان آخر . وقد كانت هذه العمليات في نفس الوقت كفاحا لاجل المواد الخام ، اذ كانوا في الاوقات المناسبة يقصدون الجهات الغنية بالقمح والقطن والقمح والنقط الخ

ومن مميزات هذه الحرب طول جبهة القتال فيها فقد بلغ طولها ٨٠٠٠ كيلومترا ، بينما جبهة قتال الجيوش النمساوية في الحرب العظمى لم يزد على ١٥٠٠ كيلو مترا .



كان الناس أبا ن الحرب العظمى يتحدثون عن السرعة التي زحف بها جيش الجنرال فون كلوك مسافة ٥٢٠ كيلو متر من أكس لاشابل الى جنوبي المارن بمعدل ٢٣ كيلو متر في اليوم . وكذلك قطع الجيش الاحمر ٢٥٠٠ الى ٢٨٠٠ كيلو مترا في مطاردة جنود كولتشاك من أومسك الى ايركوتسك بسرعة معدنها ٢٠ الى ٢٥ كيلو متر في اليوم وكانت سرعته أثناء قضاة على جيش فرانجل تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ كيلو مترا في اليوم

وقد نشأت هذه السرعة من استعمال أدوات النقل التي عند المزارعين وأحيانا القطرات والسيارات وكذلك من تطوع فلاحى الجهات التي كان يمر فيها الجيش فيسدون مابه من النقص في المواد الانسانية ، وكذا من كثرة عدد الخيالة الذين لعبوا دورا عظيم الاهمية في هذه الحرب نظرا لما كان يملأ قلوبهم من الحقد والرغبة في الانتقام

وكيفما كان الحال فإن هذه الحرب قد احتوت من التجارب والتطورات ما يجعلها جذيرة بالدرس والمراجعة

### حياة لينين

قتل الاسكندر الثاني في مارس سنة ١٨٨١ ، وفي نفس اليوم بعد مرور ٦ سنوات بالضبط أى سنة ١٨٨٧ ذهب الطالب الاشتراكي الكسندر أوليانوف الشقيق الاكبر للين لقتل الاسكندر الثالث بالقنابل فقبض عليه وشنق مع أربعة من رفاقه في قلعة شلوسبرج وقضى بذلك على حزمهم الثوري المسمى « ارادة الشعب » التحق لينين بكلية الحقوق في قازان ثم رقت منها بسبب « الاشتراك في الثورة » فذهب الى جامعة بطرسبورج ونال منها أجازة الحقوق واشتغل بالمحاماة بضعة أيام فقط ثم هجرها « ليعترف أجازة الثورة » ثم اشترك في تكوين « جماعة النضال لتحرير طبقة العمال » التي وزعت المنشورات المطبوعة ونظمت أول اعتصاب للعمال . ثم قبض عليه وارسل الى المنفى . وفي عام ١٩٠١ أصدر مع آخرين جريدة « الشرارة » الثورية . وبعد عامين انقسم الحزب الاشتراكي الديمقراطي ( المؤسس سنة ١٨٩٨ ) الى شعبتين وهما البلشفيك أى الاكثرية والمنشفيك أى الاقلية ، فأصبح لينين زعيم البلشفيك وأصدر جريدة « الى الامام »

وفي عام ١٩٠٥ بدأت الثورة الروسية الاولى ، على أن سوفيت نواب عمال بطرسبورج كان تابعا للمنشفيك وزعيمها كروستالوف نوسار وتروتسكي



وفي عام ١٩٠٧ رحل لينين الى الخارج ثانية فكان كما كان كارل ماركس في هجرته يقضي ١٥ ساعة يوميا في دار الكتب جعلته من أعلم رجال القرن العشرين إطلاقا . وقد أصدر وهو في الغربة عدداً كبيراً من الرسائل والصحف وفي عام ١٩١٢ ذهب الى كراكاو ليدبر الحركات الشيوعية

عندما أعلنت الحرب كان لينين في النمسا فاعتقلته الحكومة ثم أطلقت سراحه فصار الى سويسرا لنشر الدعوة وأحدث في كينثال ثورة مسلحة لانتهاء الحرب بين الشعوب وبدتها بين الطبقات . وفي سنة ١٩١٧ سافر الى روسيا - عن طريق ألمانيا - وألقى في ابريل خطبة في مجمع العمال والجنود بطرسبورج فلم تلق نجاحا ، وفي يولييه سنة ١٩١٧ أحدث هياجا ضيق النفاق ثم هرب الى قلعه وعاد منها ثانيا في اكتوبر ثم عقد الروس صلح برست ليتوفسك وانتقلت لظى الحرب الاهلية في روسيا التي اقتسمت الى بضعة جمهوريات

### تجسير لينين في الخارج

في سنة ١٩١٨ حضرت الى روسيا وفود المؤمنين من الهند والافغان ووزيبار ومصر وغيرها من البلاد الشرقية لتعبر لجمهوريات الصوفييت عن تمنيات التشكيلات الشيوعية التي أوفدها

وفي ايطاليا والنرويج أيضا قرر الحزب الاشتراكي فيها قبول مبادئ الدولة الثالثة ، وكانت جريدة الاقائتي تنيع مدالية فيها صورة جانبية لينين وأخرى وجهة له وأخذت جرائد أخرى تدعو لاقامة اضطراب عالم في يوم بلاده ، وأخذ بعض العمال الايطاليين يطلقون اسمه على من يلونه من أولادهم . وفي ألمانيا ترك النائب كارل ليكنست الحرب الاشتراكي الديموقراطي الذي مكث في عضويته عشرين عاماً ، والذي يرجع الفضل في شهرته وتزايد أعضائه الى والده ، وذلك ليعتق المذهب الشيوعي .

وفي فرنسا أخذ النائب جان لوجيه يتكلم عن الثورة الروسية الباهرة ، وأخذت جريدة الاومانيتيه - وقد كانت اللسان الرسمي للاشتراكية الديموقراطية الفرنسية - تكتب عن « عبقرية » و « قوة الاختراع الفلسفي » و « حدة نظرات » و « الروح الثورية الجديدة بالاعجاب » التي عند السياسي الثوري الكبير

وفي انجلترا أيضا أخذ آرثر وانسوم ( الذي كان مراسلا للبانشتر جارديان في



مصر ) يقول أنت صفحة التاريخ الذي خطه البلشفيك للأجيال المقبلة » ناصحة  
الياض مثل ثلوج روسيا »

### كتابات وأقلامه

أخرج سنة ١٩٠٢ وهو خارج بلاده رسالة « ما العمل ؟ » حرض فيها على  
إنجاد ثوريين محترفين ، يحرقون أثاره الثورات وفن مكافحة البوليس السياسي . ولقد  
أفصح في أن يجعل من نفسه مهبأ شعبياً فياً أي محترفاً ، يشهد بعقيدته في ذلك كل  
من بصر به يلقي خطابه سنة ١٩١٧ من كشك فندق كشينسكي ، وطالع كتاباته في  
البرافدا ، ثم شاهد تأثير هذه الخطابات والكتابات النيجية ، وما أرقعته في الشعب  
والجيش الروسي من الاضطراب

وفي سنة ١٩٠٥ قرر الحزب البلشفيك المتعقد برئاسته في لندن قراراً جاء فيه : أن  
البلشفيك يريدون الشعب ، أي البروليتاريا والملاحين على محاسبة حكم الفرد  
والارستوقراطية بطريقة سوية ( رعاعية ) ، وذلك بأبادة أعداء الحرية من غير شفقة  
وقمع مقاومتهم بالفرقة وعدم السماح بالوراثة اللعينة للاسترقاق والاسيوية و « اهانة  
الانسانية »

فلما هزمت ثورة السنة ١٩٠٥ شرع الكثير من الاشتراكيين والشيوعيين في  
روسيا يبحثون لأفكارهم الاجتماعية عن أساس فلسفي غير المادية التي بشر بها  
ماركس وإنجلز

وشعر لينين بما في ذلك من خطر ، فلوى عنانه شطر دار الكتب الباريسية  
وعكف على دراسة الفلسفة الألمانية ، ثم أخرج سنة ١٩٠٨ كتاباً يصفه زينوفيف  
بأنه « أول كتاب فلسفي يفسط النظرات الأساسية للشيوعية »

### تجرباته

أعلن لينين في بدا الحرب أن الثورة ختامها قال : « ليست الحرب بنت الصدقة  
ولا هي خطيئة كما يعتقد قساوسة المسيحيين ، وإنما هي طور لامفر منه من أطوار  
الرأسمالية . وهي أيضاً كالسلم من حيث أنها شكل محمل من أشكال الحياة الرأسمالية  
أما الامتناع عن تأدية الخدمة العسكرية والاضراب عن المحاربة وهلم جرا . كل ذلك  
حق وسخافة وحلم تعمس جبان ، عن مكافحة أسلحة الاغنياء بدين سلاح وازالة



الرأسمالية بدون حرب أهلية مريعة أو حملة حرب . إن نشر الدعوة إلى حروب الطبقات أبان الحرب هو واجب اشتراكي . والعمل الذي من شأنه أن يدل حرب الشعوب بحرب أهلية هو العمل الاشتراكي الوحيد في فترات المضادات الاستعمارية التي بقيها الأغنياء من جميع الشعوب .

قد ماتت الدولة الثانية، هزمتها سياسة النعمية . الدولة الثالثة تقوم بتنظيم قوى البروليتاريا ( أي طبقة العمال ) للهجوم الثوري ضد الحكومات الرأسمالية وتنظيم الحرب الأهلية ضد برجوازي ( أي أغنياء ) جميع الشعوب

### أهمرة وصفاء

لم يكن لبنين من عبيد الشهوات ولاغواة الفخفخة . يشهد بذلك كل من عاشه قبل الحرب أو بعد قبضه على ناصية الحكم وامتداد نفوذه على ملايين الجنات التي كان يستطيع أن يصرقها حيث شاء . ويقول عنه أعداؤه أنه « الشيوعي الوحيد الذي لم يصبح من أصحاب الثروات »

ARCHIVE  
(Digitized by eGangotri Sakshi)





## غلتون

١٨٢٢ - ١٩١١

صاحب المذهب المعروف في توارث النوع

ولد في ١٦ فبراير سنة ١٨٢٢ . وجدته مستر اراسموس داروين الشاعر والعالم الطبيعي المعروف، كما أن من أولاد عمومتها مستر شارلز داروين صاحب كتاب أصل الأنواع، وأكبر معلم في العلم الطبيعي الحيوى ظهر خلال القرن التاسع عشر . بعد أن قطع مرحلة التعليم الابتدائي في مدينة ، برمنجهام ، التحق للدرس في مستشفى هذه المدينة ، ثم في جامعة ، كنجز ، في لندن ليكون طبيباً . غير أنه بعد أن حصل على درجته العلمية من كلية ، ترينيتي ، Trinity بكمبريدج سنة ١٨٤٣ غير متجهه الفكرى ، فراح من ١٨٤٥ إلى سنة ١٨٤٦ في السودان ، وفي سنة ١٨٥٠ استكشف مع صديقه الدكتور ، جون أندرسون ، كثيراً من مجاهل ، داماارالاند ، Damaraland - وبلاد ، الأوقامبو ، Ovampo في أفرقية الجنوبية الغربية ، مبتدأ رحلته من خليج ، وولفس ، وكانت هذه البقاع لم تستكشف من قبل ولم يعرفها الفاتحون الجغرافيون حتى عهد غلتون ، فلما ظهرت نتائج رحلته مطبوعة (١) بادرت الجمعية الجغرافية الملكية باهدائه مداليته الذهبية سنة ١٨٥٣ .

أما كتابه من السياحة ، (٢) فنشر لأول مرة سنة ١٨٥٥ . وفي سنة ١٨٦٠ زار شمال اسبانيا ونشر نتائج ملاحظاته التي استجمعها في طبيعة هذه البلاد وأهلها في أول سلسلة من الكتب قام هو مشرفاً على نشرها (٣) ، غير أنه رجع بعد ذلك إلى علم الارصاد (٤) وكانت نتيجة اكبابه على هذا الموضوع ان اخرج كتابه المعروف Meteorographica ونشره سنة ١٨٦٣ . وكان البحث أول بحث جدى في سبيل تحقيق ما تطلع اليه علماء الارصاد في السباط طريقة يمكن بها تسجيل التغيرات الجوية في آفاق متسعة مترامية الاطراف . كما أنه قد يك في هذا البحث

(1) Narrative of an Explorer in Tropical Africa.

(2) The Art of Travel; or Shifts and Contrivances in Wild Countries.

(3) Vacation Tourista.

(4) Meteorology.



أول فكرة صحيحة في نظرية مصادات الأعاصير . وكان غلتون إذ ذاك عضواً في  
 جمعية الارصاد . ثم في مجلس الارصاد ، الذي ألف على أثر التحلل الجمعية الأولى  
 وظل عضواً فيه ثلاثين سنة متوالية . غير أن عظمة غلتون الحقيقية تقترن بأبحاثه  
 الاثروبولوجية ، ومذكراته في علم الوراثة . ففي سنة ١٨٦٩ نشر كتابه المعروف  
 «توارث النبوغ» : سنة ، ونتائجه (١) فأحدث هذا الكتاب ضجة كبرى في عالم العلم  
 الطبيعي ، كما تلافته أيدي الاطباء في أنحاء العالم المتعدين . ثم عقب على هذا  
 الكتاب بأخر عنوانه «رجال العلم الانجليز : طبيعتهم وتطعيمهم» (٢) وقد نشر سنة  
 ١٨٧٤ ، ثم كتابه بحث في المواهب الانسانية وتطورها (٣) سنة ١٨٨٣ ، وبحمل  
 تاريخ الحياة سنة ١٨٨٤ ومقررات المذاهب العائلية سنة ١٨٨٤ ، والوراثة  
 الطبيعية (٤) سنة ١٨٨٩

\*\*\*

ان الفكرة في أن الواجب على المصلحين أن يتبعوا طريقاً نظامياً لتحسين النوع  
 الانساني ، توقف تناسل الصالحين ، والعمل على زيادة نسل الصالحين اجتماعياً ، قد  
 طرأت على ذهن غلتون ونشرها سنة ١٨٦٥ ، ثم عاود البحث فيها سنة ١٨٨٤ مستعملاً  
 في ذلك اصطلاح «اليوجينية» (٥) لأول مرة في كتابه المواهب الانسانية .  
 وفي سنة ١٩٠٤ أسس في جامعة لندن المعهد للبحث في هذا الموضوع وزيادة  
 أوجه المعرفة فيه حدهه تحديداً دقيقاً إذ وقف البحث فيه على درس العوامل  
 الخاضعة للاثر الاجتماعي والتي يمكن أن تحسن من صفات السلالات في خلال  
 الاجيال القادمة أو تصدها عن ذلك ، من الوجهتين الطبيعية والعقلية  
 ومن أكبر آثاره أنه أحد المبكرين لفكرة استخدام بصمات الاصابع للدلالة  
 على المجرمين . ونشر في هذا الموضوع ثلاثة كتب متوالية (٦)  
 وانتخب عضواً في الجمعية الملكية سنة ١٨٩٠ ونال مدينتها سنة ١٨٨٦ وميدالية  
 داروين سنة ١٩٠٣ ودرجة شرف من أكسفورد سنة ١٨٩٤ وأخرى من كيردج  
 سنة ١٨٩٥

(1) Hereditary Genius: its Laws and Consequences.

(2) English Men of Science, their Nature and Nurture

(3) Inquiries into Human Faculty and its Development

(4) Natural Inheritance.

(5) Eugenics.

(6) Finger Prints ; Decipherment of Blurred finger prints ;  
 Finger Print Directories.



# كارل ماركس

واثق نظرياته الفلسفية والاقتصادية

محاضرة ألقاها بجامعة فرايبورج الأستاذ الدكتور كارل ديل

## اشتراكية الزمان الغابر

وجد التفكير الاشتراكي والنظريات والحركات الاشتراكية بل والأحزاب الاشتراكية منذ قرون عديدة ، ولكنها كانت تختلف عن مثيلها في الوقت الحاضر من حيث كونها (١) حركات مؤقتة

(٢) يقوم بها جماعات صغيرة (٣) تحمسا

لأفكار يشأ بعض من يدعون إلى المثل العليا ، أو تحمسا لأسباب دينية مثل حكومة

اليسوعيين في براجواي بأمريكا الجنوبية

(٤) وكان الذين يقومون بالحركات

الاشتراكية ، قوم من العبد الأرقاء

وآخرون من الفلاحين المستعبدين وكانوا

يكافحون للحصول على حريتهم الشخصية

لا لإجراء انقلاب جوهري في طريقة

الانتاج (٥) وكانت كل فئة تظهر وتختفي حسب ظروفها الخاصة ، فلم يكن هناك فكرة

عن توحيد جبهة النضال وتكوين السولية التي دعا إليها كارل ماركس في قوله المأثور

«أيها الطبقات العاملة في العالم ، اتحدى»

## تاريخ حياة كارل ماركس

ويؤخذ عما كتبه الزعيم الاشتراكي فريدريش انجلز عن تاريخ حياة صديقه

وأستاذه وزميله كارل ماركس ، أن هذا قد ولد في بلدة ترير في ٥ مايو سنة ١٨١٨

وفي سنة ١٨٢٤ انتقل هو وأبوه هاينريش ماركس ( من أكبر رجال القانون )

وعائلتهما جميعاً ، من الدين اليهودي إلى البروتستانتية ونال الدكتوراه في الفلسفة من



كارل ماركس



جامعة برلين سنة ١٨٤١ ، وعين محرراً ثم رئيساً لتحرير « صحيفة نهر الرين »  
 Rheinische Zeitung التي صدرت في أول يناير سنة ١٨٤٢ لتتعلق بلسان  
 المعارضة الديمقراطية المتطرفة ، وصادرتها الحكومة في أول يناير سنة ١٨٤٣  
 فسافر ماركس الى باريس ونزوح من رفقة صباه « بنى فون فستفان » وتفرغ  
 لدراسة الاقتصاد السياسي وبخاصة ، الاشتراكيين الفرنسيين ، وهذا هو أصل اعتناقه  
 لفكرة الاشتراكية

وفي سنة ١٨٤٤ سافر فريدريش أنجلز الى باريس حيث تعرف بماركس وظلا  
 يعملان معاً حتى الوفاة . ثم صدر الامر بنفى ماركس من فرنسا — بناء على طلب  
 الحكومة البروسية — لانه كان يحرر في جريدة اسبوعية اسمها « الى الامام Vorwärts »  
 وكانت تتهاجم حكومة بروسيا . فرحل الى بروكسل وتبعه أنجلز حيث أصدر في يناير  
 سنة ١٨٤٨ « البيان الشيوعي » المعروف ثم نفى من بلجيكا عند انفجار ثورة فبراير  
 سنة ١٨٤٨ في فرنسا فعاد الى باريس بناء على دعوة الحكومة المؤقتة للجمهورية ثم  
 رحل في ابريل الى كولونيا حيث أصدر في أول يونيو سنة ١٨٤٨ « صحيفة نهر الرين »  
 الجديدة التي ظلت تصدر حتى ١٩ مايو سنة ١٨٤٩ ، ثم نفى ماركس من بروسيا ثانية  
 فعاد الى باريس ولكنه اضطر عقب مظاهرة ١٣ يونيو سنة ١٨٤٩ الى مبارحة  
 فرنسا فرحل الى لندن حيث بقي حتى توفي بها في ٩ يناير سنة ١٨٨٣

وفي لندن أنعم أهم أعماله العلمية وكذا دعوته الى النولية ، فأصدر سنة ١٨٥٩  
 الجزء الاول من كتابه « حول نقد الاقتصاد السياسي » ولكنه بدلا من متابعة اخراج  
 باقى اجزاء هذا الكتاب ، أصدر في سنة ١٨٦٧ الجزء الاول من كتابه الجامع  
 « رأس المال » Das Kapital

### تطبيقات الفلسفة الاجتماعية

(١) يجب أن تفسر حركة العمال وفقاً لمبادئ « الفلسفة المادية للتاريخ » ،  
 أي أنه يجب أن لا يراد بها خدمة المثل العليا ، بل التفسير المادي للتاريخ ، القائل بأن  
 السبب في حدوث جميع الحوادث التاريخية الكبرى كظهور المذاهب الدينية ونشوب  
 الحروب والثورات وغيرها ، لا يرجع الى نشر أفكار جديدة بل الى تغير الظروف  
 المادية والاقتصادية — إن هذا التفسير المادي ، لم يقصد به مجرد تحليل الحوادث  
 الانسانية بل يقصد به أن تراعي وجهة النظر هذه فيما بعدة المستقبل من حوادث ، فلا  
 نطلب اصلاح نظام الجمعية البشرية بناء على المبادئ المثالية التي يبشر بها بعض رجال



المثل العليا ، بل ندع قوى الاتاج هي التي تأتي من نفسها بالنظام الجديد للمجتمع وبينما نجد أن الزعيم الألماني فريدريش لاسال قد بنى اشتراكيته الحكومية ( أى التي تعتمد على الحكومة في اصلاح الشئون على أساس المبادئ الاشتراكية ) على أساس فلسفة هيغل المثالية التي تؤله « الفكرة » وتراها قادرة على عمل كل شيء . اذ بنا نجد أن ماركس لم يحتفظ من دراسته في صغره لفلسفة هيغل الا باللوب هيغل المنطقي ولكنه أنكر فلسفته من أساسها وعارض فلسفته فهو يربخ القائل باستبدال الأديان الحالية ، بدين الانسانية وكذا فلسفته « كانت » وغيره من فلاسفة الالماني الذين يدعون الى المثل العليا

وقد أعلن ماركس نظرية التفسير المادى للتاريخ في كتابه « نقد الاقتصاد السياسي » الذي ظهر في سنة ١٨٥٩ ( وهي السنة التي ظهر فيها كتاب داروين عن أصل الأنواع )

ولسنا نعي أن ماركس لم يكن يرضى في وجود المثل العليا في العالم ، فان إكبابه على وضع النظريات الاشتراكية وإزاعتها ، يدل على إيمانه بالمثل العليا ، ولكنه كان يريد أن يجعلها تابعة لظروف الاقتصادية ، وليست نتيجة لها ، وفي ذلك يقول البيان الشيوعي « إن قواعد الشيوعيين النظرية لا تستند اليه إلى الأفكار والمبادئ التي وضعها أو اكتشفها هذا أو ذاك من مصلحي العلم ، وإنما هي تعابير تتعلق بوقائع حقيقية ، خاصة بحوادث تاريخية من نضال الطبقات تجري أمام أعيننا

( ٢ ) وينتجنا تقدم أن حركة العمال يجب أن تأخذ شكل نضال الطبقات ، فان الانقلاب الاجتماعي يعطى حسب نظرية التفسير المادى للتاريخ بأن تغير ظروف الاتاج يؤدي إلى نشوء طبقات جديدة وخصومات جديدة بين الطبقات ، فنقتصر فيها الطبقة الأكثر ملاءمة لشروط الاتاج الجديدة وهي في هذه المرة طبقة ( البروليتاريا ) أي العمال

« ونضال الطبقات » عند ماركس ليس معناه الكفاح لتحسين الأجور وغيرها من الشئون الاقتصادية ، وإنما هو إعادة بناء المجتمع على نمط جديد ، أو كما يقول البيان الشيوعي « كل نضال للطبقات هو نضال سياسي »

( ٣ ) وبناء على ذلك يجب أن تكون حركة العمال انقلابية ، ولستاعني بذلك أن تستعمل العنف وإنما قصد أنه لا يجب أن يكون غرضها مجرد الاصلاح الاجتماعي ، وأنه يجب عليها أن لا تعتمد في وصولها إلى غرضها على ما تقدمه الحكومة من



التشريع الاجتماعي ، بل عليها أن تعتبر نفسها عدوة للحكومة المطلقة ولجميع الطبقات الأخرى

وكان ماركس لا يمانع في استعمال الثورات العنيفة عندما تكون الظروف مناسبة لها ، ولكنه كان يراها خطيرة على الحركة عندما تكون طبقة العمال آخذة في تنمية نفوذها السياسي

( ٤ ) وعلى ذلك فهو يرى أن الثقبات التعاونية ليست كافية لتحرير طبقة العمال بل إنها على عظيم فائدها يخشى أن تغطي أغراضها الاقتصادية المحضنة على الغرض النهائي السياسي ، وليس المطلوب هو العمل التعاوني في وسط النظام الرأسمالي ، بل هو إلغاء النظام الرأسمالي كلية

( ٥ ) وفي النهاية يجب أن تكون حركة العمال دولية

### نظرياته الاقتصادية السياسية

ولكن نستطيع أن نقدر أهمية ماركس بالنسبة لدولية حركة العمال ، يلزمنا أن نعرف بعض نظرياته في الاقتصاد السياسي

## ARCHIVE

### نظرية القيمة والقيمة الزائدة

كانت هذه النظرية محور أبحاث كثيرة من الاشتراكيين مثل أوين وبرودون وروبرتوس ولاسال ، بينما هي ثانوية الأهمية عند ماركس ، وكان البعض يفهمها على النحو الآتي :

توازي قيمة البضائع ما استلزمه صنعها من العمل ، ولكن أجور العمال لا تكفي إلا لعدم موتهم جوعاً ، بينما أن باقي ثمن البيع يذهب إلى جيوب أصحاب رؤوس الأموال على هيئة أرباح وريع وفوائد ( فائض ) واذن فإن مجتمعنا قائم على أساس ظالم يجب تغييره .

أما ماركس فلم يتكلم عن العدل والظلم ، بل كان يرفع الستار عن التكوين الداخلي للمجتمع الرأسمالي بما فيه من إنتاج وتوزيع ودورة مالية ، بدون أن يؤسس على ذلك نتيجة مهمة ، بحيث لو ثبت خطأ هذه النظرية لما أضعف ذلك من قوة الاشتراكية الماركسية .

فإذا فرضنا أن ٣ ذراعاً من الأقمشة النيلة تساوي معطفاً تساوي ١٠ أربطال من الشاي تساوي ٤ رطلاً من القهوة تساوي أردباً من القمح تساوي نصف طن



من الحديد تساوى بضاعة كذا . وان كلام من هذه الأشياء تساوى أوقيتين من من الذهب ، فلم يتبادل الناس كل هذه الأشياء على أنها ذات قيمة واحدة ؟ لابد أن يكون فيها شيئاً مشتركاً في الجميع وهو الذي نسميه « قيمة » . إن هذا الشيء بالطبع ليس مقدار فائدتها وضرورتها للإنسان بل مقدار ما فيها من العمل الإنساني ( أي بعض النظر عما إذا كان هذا العمل ، نجارة أو حدادة أو نسجاً ) ، ولذلك فإن للبضاعة قيمة لأنه قد بذل فيها عمل إنساني . وسواء كانت البضاعة مركبة أو بسيطة فإنها تقاس بوحدة العمل البسيط ، وعلى أساس نظرية القيمة هذه بنى ماركس نظريته في القيمة الأكثر .

فإذا حدث في هذا النظام أن أسامى للآلات أن انفصل صاحب العمل بما عنده من وسائل الإنتاج ( أي المصنع ) عن متولى العمل الذي لا يملك من ثروة سوى القوة العاملة . فإن هذه القوة العاملة تصبح هي نفسها بضاعة تباع وتشترى في سوق العمل كأنها بضاعة أخرى بوحدة البيع هنا هي وقت العمل . والمنتجات هنا هي الأغذية الضرورية للعائلة العامل للاحتفاظ بقوة العمل وتحديد مداها . فمقدار الأغذية الضرورية للعائلة يساوى إذن قيمة القوة العاملة للعامل في اليوم

فإذا افترضنا أن رأسمالياً قد اشترى القوة العاملة للعامل في يوم وان الأغذية اللازمة للعامل وعائلته تساوى ( أي يمكن إنتاجها في ) ٦ ساعات وأنها تساوى بناء على ذلك ٣ ماركات فهذا يمكن للرأسمالي أن يشتري ٦ ساعات عمل بـ ٣ ماركات . ولكنه يدفع العامل بعمل ١٢ ساعة فأذن ٦ ساعات من الاثني عشر تساوى قيمة العمل بينما أن الـ ٦ ساعات الأخرى تساوى القيمة الأكثر ، أي إن الرأسمالي يضع في جيده عمل ٦ ساعات بدون أن يدفع عنها أجراً للعامل ، الذي لا يأخذ إلا جزءاً مما يستحقه من الأجر على أن ماركس لم يبين على هذه النظرية أية نتيجة

## ب - النظريات المثيرة بتعظيم المجتمع الرأسمالي

### نظرية المركز

يرى ماركس أن التقدم الصناعي من شأنه ثلاثي المصانع والمحال الصغيرة والمتوسطة أمام المحال الكبيرة التي لها أسباب الفوز في مضمار المنافسة يقول البيان الشيوعي ، إن الطبقة الوسطى الضئيلة العدد التي ظلت موجودة إلى الآن ، من صغار أصحاب المصانع والنجار وذوى الأبرام والعمال اليدويين والفلاحين ، كل هذه الطبقات



صائرة الى (البروليتاريا) طبقة العمال الاجيرين ، من جهة لأن رؤوس أموالها الصغيرة لا تكفي لإنشاء المحال الكبيرة التي ينافسونها كبار الرأسماليين ومن جهة أخرى لأن طرق الإنتاج الجديدة تجعل مهارتهم الصناعية غير محتاج اليها .

وقد استخلص ماركس من ذلك انه يجب على حركة العمال ان لاتتخذ اجراءات بقصد بها صالح الطبقة الوسطى أو المصانع والمحال المتوسطة إذ ان هذه المحال قد كتب عليها الفشل ، ويجب العمل إذن لصالح طبقة العمال وحدها

### ( ٢ ) نظرية التكرس

يؤدي تجمع المحال الى محال كبيرة جبارة الى تجمع الملك في ايد قليلة والى زيادة عديمي الأملاك . ويؤدي تكديس المال في ايد قليلة الى زيادة إغفار صدر الطبقة العاملة قال ماركس في الجزء الاول من كتابه « رأس المال » . وباطراد تقليل عدد اصحاب رؤوس الأموال يزداد الشقاء والضغط والعبودية والانتحطاط ولكن يزداد أيضا تدمير وتمرد طبقة العمال المطردة التضخم والاتحاد والتنظيم والتعلم . . . و يصل تركيز وسائل الإنتاج واجتماع العمل الى نقطة لا يمكن فيها احتياجا داخل فئرتها الرأسمالية فتفجر . ان ساعة الملك الرأسمالي الخاص ، تنق . ومبشرين المصادرون (بفتح الباء) مصادرين (بكسر الباء)

### ( ٣ ) نظرية الزيادة البؤسى

جاء في البيان الشيوعى : ان متوسط الاجور التي يحصل عليها العمال هي الحد الأدنى للاجور أى على قدر المقدار من المواد الغذائية وغيرها ، اللازم لحفظ حياة العامل . ولكنه عدل عن هذه النظرية في كتاب ، رأس المال ، الذي جاء فيه ان الاجور قد ترتفع عن الحد الأدنى لما يحتاجه العامل ، اذا وجد الرأسماليون انهم مضطرون لدفعها كي يتمكنوا من زيادة عدد العمال أو مقدار أعمالهم . ولكن هنا الزيادة فى الاجر لا يغير الصفات الخاصة لنظام الإنتاج الرأسمالى

استبدل ماركس قانون الاجور بقانونه جيش الصناعة الاحتياطي ، الفائله ويوجه الاجال فان الضابط الوحيد لحركة أجور العمال هو امتداد وانقباض جيش الصناعة الاحتياطي . . . . . وازدياد البؤس لا يتوقف على مقدار الاجر فحسب بل ينتج قبل كل شيء من عدم ضمان العامل لغوام كسبه وحياته

وفي هذا المعنى يقول انجلز في نقده لمشروع برنامج الاشتراكيين الديمقراطيين



« وسيزداد باطراد عدد الطبقة العاملة ومقدار يؤسها هذا غير مصيب ، فإن تشكلات العمال واطراد نمو مقاومتهم قد تقيم - الى حد ما - سداً في وجه ازدياد البؤس والشقاء . أما الذي لا شك في نموه فهو عدم ضمانات الحياة . »

### ( ٤ ) نظرية الزائدات

يؤدي الملك الخاص والمنافسة الحرة الى زيادة الازمات الاقتصادية التي تنشأ من الانتاج الزائد عن الحد أي الانتاج بلا خطة مرسومة مما يؤدي الى تكديس بضائع لا يوجد لها مشتركون

ان ظروف المجتمع الحالي قد أصبحت أضيق من ان تنبع لها نتيجة من الثروة . وهذه قوى الانتاج عنده لا تعمل دائماً لصالحه . يقول البيان الشيوعي « وكيف تتجنب البرجوازي ( طبقة الاغنياء ) الأزمة ؟ من جهة باضطرابهم الى تعطيم بعض ما لديهم من القوى « المنتجة » ومن الجهة الأخرى بافتتاحهم اسواقاً جديدة وانفتاحهم الى أقصى حد بالأسواق القديمة . »

وقد تؤدي المنافسة في ذلك الى تشوب الحرب  
لخصها عن الامانة

عقلم الدين حقني ناصف



## اسماعيل باشا

„ When a great and ancient family has fallen into decay its scions find it more difficult to rise than a new-comer. Because they were badly governed half a century ago and brought down to impotence, the Egyptians are looked at askance by every one. Just like Greece, Egypt, in the course of her centuries of subjection to the Turks, had lost freedom, honor and money, and had stood still. After Mehemed Ali startled the world nearly a hundred years ago by his War against the Turks, he was the first to develop Egypt's resources by making dams and canals. Half a century later one of his successors, Ismail, built the Suez canal and at its opening brought together the German Empror and other European monarchs <sup>01</sup>. It was only the bad government of this ruler that gave the English the opportunity of tel-  
sing up their position in Egypt.“

From an article by John Leding in the New York Times Magazine of April 20th, 1930

لنا عرف تشوبها لتاريخ مصر الحديث أنكى من القول بأن اسماعيل باشا كان يتبع خطة نظامية لأصلاح البلاد ويث روح التجديد في أبنائها . والواقع أنه كان يعمل مائلا عليه شهوراته وقبل كل شيء . وإذا كان شيء من الاصلاح قد تم في عهده فليس هو الذي دعى اليه . وليس من قواعد التاريخ الحديث أن تقول ما كنا نقرأه في كتب التاريخ القديم : الملك فلان وفي عهده حصل كيتوركيت . . كلا . بل يجب أن تقول أن فلانا من أفراد الشعب أو من الزعماء السياسيين أو من الوزراء هو الذي اقترح كيت وكيت وإن هناك كذا وكذا من التطورات الفكرية والاقتصادية هي التي ساعدت على نجاح هذا الأمر

فقد أنشأ الباشا المحاكم المختلطة بقصد إضعاف نفوذ محاكم السفارات التي كانت تمتد من نفوذه وهي التي يرجع إليها جانب من الفضل في عزله . ومع ذلك فإن هذه المحاكم لم تحقق الفائدة التي كانت ترجى منها له أو للبلاد .



وحدثت في أيامه نهضة عليّة يرجع جانب كبير من الفضل في حدوثها إلى أمثال شريف باشا وعلى مبارك باشا، ومع ذلك فإن هذه النهضة لم تعد من المعركة المالية ما يجعلها في مستوى نهضات البلدان الأخرى — في نفس عدد السنين — وذلك رغم الملايين التي كانت تستدينها الحكومة وبعثها إسماعيل باشا فيها لا يفيد البلاد.

وأرغمته الدول الأجنبية على إعطاء بعض السلطة لمجلس النظار كما أوجد « مجلس شورى النواب » لتمثيل دورا وهما يستطيع إسماعيل باشا أن يبرر به تصرفاته أمام الدول وأن يستدين منها ملايين جديدة ينفق معظمها في شئونه الخاصة . ومن المضحك بالطبع أن يستدل البعض من ذلك على أن الخديوي كان يحب النظام الثياني إلى حد أنه يقتطع من سلطته الخاصة ليخلق حياة برلمانية لم يوجد ما يرغمه على إنجازها .

أما تصرفاته المالية فمن أسوأ ما عرفناه . فقد اقترض سنة ١٨٧٣ دينا قدره ٣٢ مليوناً قبضت منه الحكومة ١١ مليوناً نقداً والباقي منه ١٣ مليوناً سمسرة و ٩ ملايين أعطى بها سندات من سندات الخزانة المصرية التي لم تكن الحكومة في حاجة إليها . واستدان من أصحاب الأملاك المصريين مقداراً يعادل ضريبة ٦ سنوات واعطاهم في مقابل ذلك الحق في عدم دفع نصف ما يطلب منهم من الضرائب إلى الأبد.

وأصلح ميناء الإسكندرية بمليونين ونصف من الجنيهات في حين أن الذين قدر وأما فيها من الإصلاح وجدوه لا يستحق أكثر من مليون ونصف فقط.

وأنفق . . . ١٤٠٠ جنيه على حفلة قناة السويس ، وإنشاء طريق الهرم عندما بلغه أن « يوجيني » أميراطورة فرنسا قد ترغب في زيارة الهرم . وإنشأ الأوبرا المسرة ضيقه الأجانب.

وعزل في يونيو سنة ١٨٧٩ فرحل إلى إيطاليا

عندما مات الوالي سعيد، باشا سنة ١٨٦٣ كانت مصر مدينة بمبلغ ١٠ ملايين ، وعندما تدخلت الدول في شئونها المالية سنة ١٨٧٥ كان الدين قد أصبح ٩٠ مليوناً من الجنيهات .

جاء في كتاب تاريخ مصر للأستاذين عمر الاسكندري وسليم حسن « فلو راعينا أن مجموع دخل الحكومة المصرية زاد على نفقاتها في مجموع المدة التي حكمها إسماعيل باشا بمبلغ ٤٠ مليوناً وأن نصيب مصر من أسهم القناة بيع بمبلغ أربعة ملايين كان مجموع ما صرفه إسماعيل باشا وسعيد باشا في غير شئون الإدارة العادية يساوي ١٣٤ مليوناً . من ذلك ١٦ مليوناً أنفقت على قناة السويس و ٤٠ مليوناً على السكك الحديدية



وإصلاح الأراضي وغير ذلك من الاشغال العامة، ونحو ٥٢ مليوناً في تسوية الديون واستبدالها ودفع أرباحها وأقساطها، فيكون الباقي حينئذ نحو ٢٥ مليوناً من الخيصات لا تعرف الأوجه التي صرفت فيها.

ولسنا نريد أن نطيل في ذكر تصرفاته الشخصية وذكر المزارع الواسعة التي كان يقطعها للاجانب والمصريين رجالاً ونساء، ولسنا نريد أن نشرح بعض أنواع المظالم التي كانت تقع على الفلاحين في أيامه والتي لا زال يتذكرها الفلاحون المتقدمون في العمر (١) ولا يزال الانجليز يفتخرون الى الآن بأنهم هم الذين أنقذوا الفلاح من هذا الظلم وسببوا كذب زعمهم هذا في مرة أخرى. ولا نريد أن نذكر بيان إختلال الإدارة في عهده وأنه أرغم على أكثر الإصلاحات التي تمت في عهده والتي كان يجهل مقدار فائدتها.

ولقد كتب الاديب محمد ابراهيم هلال فصولاً في هذا الباب من أعداد جريدته (البرلمان) التي كان يصدرها منذ أعوام قليلة وكان المفروض أنه سيتابع الكتابة في هذا الباب ولكنه أقفله فجأة لأسباب لا نعلمها.

وذكر فريد مصر محمد بك فريد رئيس الحزب الوطني في عدة كراته الموجودة عند اسماعيل بك ليب (والتي رفضت أكثر الصحف المصرية نشرها) شيئاً من تصرفات اسماعيل باشا وقال ان الانحطاط الادبي كان الوسيلة الوحيدة للترقي في حكومته.

وقد قام اسماعيل باشا باصلاحات أخرى، بعضها له فيه فائدة خاصة كتمكينه (بارشاه الوزراء العمانيين) من الحصول على لقب خديوي، وحصر وراثه العرش في أكبر أولاده وزيادة سلطته وسلطة الحكومة المصرية بالتبعية.

وله اصلاحات أخرى أفادت البلاد ولا نريد أن نعطيه حقه فيها، ولكن هذا لا يستدعي بأي حال من الاحوال أن نعتدي على التاريخ هذا الاعتداء الفظيع وان نكيل المديح لاسماعيل باشا جزافاً.

١٤. لا يبلغ الضيق المالي لاسماعيل باشا أشده وقفت في وجهه البيوتات والمصارف الاجنبية، أنال على الفلاحين بالضرائب، وقد تفنن هو ومستشاروه في ذلك الى حد ان اخترعوا أنهم ضريبة تصرف على الملابس ومنها البغاني، جمع فيه وهي وشاح من الصوف يلبسه الفلاحون ولعل الاسم مأخوذ من البقية والبشوت، جمع بشة، بكسر الباء وهو أحد من البقية، فكانت تختم بخاتم خاص للدولة، ومن وجد متدراً بشي، منها غير غنوم جلد عطا وخصلت منه الضريبة، وكثيراً ما كان يحدث هذا في الاسواق العامة.



ان التاريخ ليس ملكا لنا وليس تشويهه من حقوقنا ، فليقتصد المادحون في مدحهم  
و هذا ما نقوله أيضا فيما يخص محمد علي باشا الكبير الذي أجرى في مصر  
نوعا عجيبا من الانظمة الشيوعية ولكن بشكل سيء جدا . ونحن نقل هنا من كتاب  
تاريخ مصر لعمر الاسكندري وسليم حسن ، قولها : ولم يكتف بضرب الضرائب  
القاذحة بل عزم على نزع ملكية جميع الاراضي ، ليستغلها على نفقته الخاصة . . .  
واستولى بعد ذلك على معظم الاراضي الموقوفة التي كانت تحت رعاية العلماء فجعل  
الوقف تحت رقابته من غير أن يحله ، فاحتج عليه العلماء وتجمعوا وعارضوه معارضة  
شديدة ، فأقنعهم بالدليل القاطع انه الوالي من قبل الخليفة الذي يتولى امور المسلمين  
جميعا ، فهو أحق فرد في مصر برعاية الوقف . ومن هذا الوقت بقي الوقف تحت  
إشراف الاسرة المحمدية العلوية .

ونزع بعد ذلك ملكية الاراضي التي كانت لبغية الافراد ، مدعيا حق التسلط  
على كل الاراضي لانه الحاكم النائب عن الخليفة المالك للارض بحكم الفتح الاسلامي القديم .  
فاستحضر كل الملاك وطلب منهم إبراز حقوق ملكيتهم ، فقدموا اليه حججهم رغم  
أنوفهم ، فكان يضرب بعضها عرض الحائط ، ويظهر بطلان بعضها ، ويعني بعض الملاك  
أحيانا بعرض يعطاه من الخزانة . ولما أصبحت جميع الأملاك في قبضة يده جمع كل  
ما لديه من الحجج وأعدمها . وبمقاب الأيام أصبح من المستحيل معرفة ما كانت  
للمالك أو للوقف أو لأفراد الأمة من الارض ، إذ لم تقو المحاكم على معارضة محمد  
علي ، وكانت الأهالي تحت رحمته . . . اهـ

هذا ما نقله عن الكتاب الذي قررت وزارة المعارف تدريسه بمدارسها ، وفي  
كتاب الجبرتي ما هو أشد من ذلك وأنتكي . وما ذكر ينص على أن النظام الذي اتخذه  
محمد علي ليكون نظام البلاد الأساسي هو الشيوعية ، لولا فرق واحد ، هو أن الحكومات  
الشيوعية لا تصدر أملاك الأهالي ليتصرف بها الحاكم كأنها ملكه الخاص .

على انه مما لا ينكر أن محمد علي أجرى اصلاحات كثيرة وإن يكن أهم هذه  
الاصلاحات قد عاد عليه شخصيا بفائدة كبيرة كحفر ترعة الحمودية ليرسل بها محصول  
القمح ( الذي يعتبره ملكه الخاص ) إلى الاسكندرية وتعميق ميناء الاسكندرية  
بحيث تصلح لمرسى السفن الكبيرة التي هي بدورها تشحن قمح الخاص إلى الخارج .  
ولسا نريد أن نقيط المصلحين شيئا من حقهم في البناء ، ولكننا كذلك لا نرضى  
عن المبالغة التي تؤدي إلى تشويه التاريخ

مؤرخ

م - ١ : الصور



## نظريّة التطور

(١)

إذا نظرنا إلى المقعد الخشبي أو إلى المنضدة وجدنا أن كلا منهما لم يخلق على الشكل الموجود به ، بل كان قبل ذلك ألواحاً من الخشب ، وهذه الألواح الخشبية وجدت أولاً على شكل كتل ذات طول معين ، وكل كتلة أو بضع كتل ، كانت قبل ذلك شجرة . وعلى ذلك فإن رؤية المنضدة تذكرنا بمختلف الأدوار التي وصلت إليها في تطورها من الشجرة ، وكذلك فنحن إذا رأينا حيواناً راقياً كالإنسان أو الفرد أو الحصان أو الحمار فيجب علينا أن نعرف أن هذه الصورة النهائية قد مرت قبل ذلك على عدة أدوار أولية كالتى مرت عليها المنضدة

وهناك عدة براهين تثبت ذلك ، مثل الاعضاء الأثرية ومنها الزائدة النودية في الإنسان فإنها عضو أصبح الآن لا يؤدي عملاً بينما هو لا يزال يقوم بوظيفته في الحمار فيهضم المواد السلولوزية كالخبز . ولما كان الإنسان لا يأكل هذه المواد فقد أخذت الزائدة النودية تتضاءل وأصبحت لا تؤدي أية وظيفة ، وسيجيء اليوم الذى تصبح فيه أثرًا بعد عين

(٢)

وقد استغرقت الحيوانات الراقية مئات الملايين من السنين في تطورها إلى شكلها الحالي ، وإذن فليس من المعقول أن نطالب بتكرار هذه العملية أمام أعيننا ، ولكننا نستطيع أن نشاهد العمليات التى يقوم بها مربو الحيوانات والنباتات فينتجون بها ضرورياً جديدة لم تكن موجودة من قبل مثل القطن السكلاريدى والزاجوراه اللذين لم يخلقوا إلا منذ سنوات قليلة ، ومثل الخيل الانكليزية والكلاب البول دوج وغيرها مما لم يوجد على ظهر الأرض إلا منذ مئات قليلة من السنين ، بفضل جمعيات تربية الخيل والكلاب وغيرها

ومن السهل علينا أن نتصور استمرار عملية التطور وظهور الصور الجديدة ، إذا علينا أن أحد العلماء قد وصف أربعة آلاف نوع من أنواع الفل المختلفة ، وأنه يوجد مثل هذا العدد من أنواع القمع وبضع مئات من أنواع البطاطس المتولد في أوروبا من نوع واحد جلب من أميركا منذ خمسة قرون .



## ( ٣ )

ولا يصح الاعتراض على ما تقدم بأن تطور الكلب القديم الى عدة أجناس كالبولدوج والسلافي والارمنى والفوكسيريور لم يمنع انها كلها من نوع الكلاب ( أولا ) لأن تقسيم الحيوانات الى مراتب وأنواع وأجناس وفصائل . الخ ، هو من عمل الانسان ، أما الطبيعة فلا تعترف بهذه التقسيمات ولا تعرف الا الافراد ( ثانياً ) لأن القرابة بين الانواع المختلفة أمر ثابت من تناسل الانواع المختلفة كتناسل الحمار والفرس أو الحصان واللاتان وتناسل الكلب والافاث من الثعالب ، وهنالك أدلة علمية أخرى كالقرابة بين دم الكلب ، والذئب ودم الحمار والحصان ودم القرد والانسان . وليس هنا مجال لشرح التجارب العلمية ولكننا نقول ان هذه المسائل قد ثبتت ثبوتاً قاطعاً بحيث لا يوجد عالم واحد يجادل في صحتها ، ويمكن لكل انسان أن يشاهد تجربتها بنفسه

## ( ٤ )

وقد حاول بعض المتعنتين أن يستثنى الانسان من أحكام نظرية التطور فلم يستطع ، إذ أن الانسان لا يمتاز بأية ميزة خاصة إلا ميزة المشي على قدميه ، وفيما عدا ذلك من مزايا الانسان فكل منها موجود في بضعة أنواع من الحيوانات وان لم تكن كلها موجودة معاً الا في الانسان .

فالآعين المتجهة الى الامام موجودة في جميع القردة الانسانية ، وبعض القردة الاميركية الصغيرة منح كبير لا يقل حجمه نسبياً عن مثيله في الانسان ، والقرد الانفي أنف يفوق في بروزه أكبر الانوف الانسانية ، والقردة الانسانية في صغرها شعر متجمع في رأسها على النحو الموجود به عند الانسان . وشعر الجسم غزير عند بعض الأفراد من الناس بشكل لا يبلغه القردة . هذا وللانسان اعتداد في العمود الفقري يشبه ذنب الحيوانات ولكن بعض الأنسجة ( كالأعصاب والأنسجة الرابطة والعضلات وأحياناً العظام ) تعوقه عن أن يتبدل كذيل الحيوان ، ومع ذلك قالت القردة الانسانية ليس لها ذنب وكذا الدب الاسترالي والصفدع وغير ذلك .

## ( ٥ )

كلنا نعرف أن الكرة الارضية كانت في أول الامر كرة نارية لا يمكن أن يعيش



فوقها حيوان أو نبات، ثم بردت القشرة الأرضية فتحول البخار المحيط بها إلى ماء، ثم تجمع الماء في بحار ( تخالف البحار الحالية من بعض الوجوه ) وقد نشأت الكائنات الحية في البحر لا في البر وهذا ما تبينه بوضوح عند بحث أجسام جميع الحيوانات الوحيدة الخلية والحيوانات الجوفاء والحيوانات الرخوة وغيرها. أما كون الحيوانات الفقارية لا تشد عن ذلك فهذا ما تربنا إياه الأسماك وتشاهد الأهرام الخشومية في الجنين الإنساني مما يدل بجللاء على مقامنا السابق في البحر، ولا تزال جهازات الحياشيم تكون أهم أجزاء الرأس والرقبة فيما مثل بوق استاكبوس وعظم المطرقة والسندان والركابي في الأذن، العظم اللامي ( عظمة اللسان ) والفكين الأعلى والأسفل .

## ( ٦ )

ويلاحظ أن جلد السمك المسمى كلب البحر له حراشيف عظمية تشبه أسنانا في شكلها وفي المواد المتكونة منها، وذلك لأن الأسنان لم تكن إلا حراشيف عادية ولكنها أصبحت ونمت في الفكين، بينما انقرضت من باقي أجزاء الجسم وبناه على ذلك فقد كانت أسنان الحيوانات المختلفة متشابهة كلها في الأزمان الغابرة ولكنها أخذت تزايد في الاختلاف كلما دعت الأسباب الطبيعية إلى ذلك، فقد كانت الحيوانات القوية تهاجم الضعيفة وتأكلها فنمت أنيابها وأصبحت أسنانها حادة تحسن تمزيق اللحم وتكونت في أقدامها المخالب . أما الحيوانات الضعيفة فقد كانت تفرطربة فتكونت عندها الحوافر وما عائلها، وكانت قانعة بأكل الأعشاب فتضاءلت أنيابها وكبرت أسنانها الخلفية فتطورت إلى آلة مضغ كما تطعن قيات الغذاء التي تكون في بعض الأحيان كبيرة جداً .

وقد أصبحت الأسنان والأيدي في الوقت الحاضر ذات أشكال خاصة لا يمكن تغييرها، فالأسد مثلاً لا يمكنه الانحراف إلى أكل النبات، ولا الثور يمكن تعليمه كيف يمكن للفريسة

وكذلك القردة الانسانية مثلاً فإنها لا يمكن أن تتحول إلى الشكل الإنساني وذلك لأسباب منها أن أيديها قد انضمت الإبهام فيها كثيراً حتى لا يعا كسها في القفز من شجرة إلى أخرى كما أن إبهامها القصير مركب بشكل لا يستطيع معه الانحناء نحو اليد ليمسك بالآلات أو ليصنع آلات حجرية كالتي استعان بها الإنسان في العصر الحجري .



## (٧)

ويرى التفرع المقارن بين أطراف الحيوانات المختلفة تشابهاً قوياً يدل على قرابتها البعيدة، فأذرع الإنسان قد تطورت عن زعانف السمك وذلك واضح من تشابه العظام فيهما ومن تشابه الطريقة التي يتحرك بها كل منهما، وكذلك كانت للحصان خمسة أصابع لم يبق إلا أوسطها، وترى بساطن ساقه بقعة رمادية اللون هي بقية أظفر الأصبع الأول وهو الإبهام.

## (٨)

ولقد كان الجد الأصلي للإنسان والقرودة حيواناً متسلقاً يمشى على أربع، وذلك ظاهر من التذكورات التي في يد الإنسان والتي هي معدة لوطأ الأرض. وتكون يد الطفل المولود حديثاً ذات حجم كبير جداً بالنسبة لباقي الجسم وإذا علقناه على عصي وجدنا بطن قدميه تنجه كل منهما إلى الأخرى كما لو كانتا ممسكتين ساق شجرة

وتشبه القرودة الانسانية الإنسان عندما ما تقدم، في اتجاه العينين إلى الامام ( بخلاف عيني الحمار مثلاً فهما متجهتان إلى الجانبين ) وكبر المخ وتقوس الجمجمة وكبر نتوئها الخلفي وتكون الأسنان من ٢ قواطع و ١ ناب و ٢ أو ٣ ما قبل الأضراس و ٣ أضراس، وغير ذلك

وعند ما ينشأ الجنين الإنساني في بطن أمه تكون العينين على الجانبين ثم يأخذان في الاقتراب من بعضهما ويساعد ذلك على نمو الجمجمة ( التي هي صندوق المخ ) فيكبر المخ، ولكن ذلك يقلل من قوة حماية الشم فهي عندنا ضعيفة جداً إذا قورنت بمثلها عند الكلب مثلاً، إلا أنه من الجهة الأخرى يجعلنا نرى الأشياء بحجمه فيستطيع أن يحكم على حجمها والمسافة بينها وبيننا بعكس الحيوانات ذات العين الجانبية فإن كل عين من أعينها تلتقط صورة منفصلة على حدة فيخال لها أنها أمام سطح واحد. ولا ندري هل يلوح الجسم الذي أمامها كبيراً لأنه كبير حقاً أم لأنه متناهى القرب فحسب. وهذه الحالة تعطل لنا بسهولة، السبب في خوف الخيل، وفي انزعاج حيوانات كبيرة من كائن صغير نسبياً كالإنسان

وأقرب القرودة الانسانية إلى الإنسان هو الجيرون وهو قرد صغير أنيق يقطن جزائر الهند الاسيوية

وبناء على ما تقدم فالإنسان متسلسل لا عن القرودة الانسانية بل متسلسل معها من أصل واحد



## (٩)

نظرية التطور لا تبحث في : من الذى خلق الانسان والحيوان ؟ وما هي صفات هذا الخالق ؟ بل هي تصف الطريقة التي حصل بها هذا الخلق ، وذلك بشكل يقبله العقل ولا يخالف ما نعرفه من العلوم المختلفة

ولكن ذلك لم يمنع من نشوب الحرب بين القائلين بها وبين رجال الدين ولاسيما الكاثوليكين منهم ، فقد عثر علماء الحفريات على هياكل آدمية مدفونة في طبقات جيولوجية قديمة جدا ، وذلك يثبت وجود الانسان منذ مئات الالوف من السنين ، بعكس ما تزعم التوراة فهي تنص على أن أول انسان قد وجد منذ ثيف وستة آلاف سنة فقط ، كما أنها قد وصفت طريقة خلقه بشكل يشبه الطريقة التي تصنع بها القلل عندما اذ بكور الطين على شكل مخصوص ثم يوضع في النار فيصير قلة باذن الله .

## (١٠)

فجميع الكائنات الحية من انسان وحيوان ونبات قد تسلسلت من أصل واحد أو بضعة أصول أصغر جدا وأضال من أي حيوان نعرفه الآن . وقد تولد هذا الحيوان تولدا ذاتيا من جسم غير حي أو الأرجح أن هذه العملية لا تتكرر الآن لأن الظروف الحالية غير ملائمة لذلك كالظروف التي وجدت منذ الملايين العديدة من السنين ( وهناك طرق عديدة لتقدير عمر الأرض كحساب الزمن اللازم لتحول عنصر الراديوم الى رصاص أو اللازم لاحتواء البحار على ما فيها من الأملاح الخ ) والحياة نفسها أما أن تكون حديثة في الكون وأما أن تكون أزلية أي موجودة منذ وجد الكون نفسه . ويرى البعض أنها انتقلت الى الأرض ، عند تبرد قشرتها — من إحدى الكواكب البعيدة

كل هذه الاتجاهات خارجة عن المدى الذي تبحث فيه نظرية التطور ، ولذلك تقتصر على هذا

عصام الدين جفني ناصف



## نحن في طور انحطاط

الثورة - الاحزاب السياسية - التعليم - الصحافة - العلم والادب - لثقل العبء - النتيجة

### ١ - الثورة

لا نريد أن نطيل في القول أو أن نذهب في هذا البحث مذاهب أهل النظريات في تقرير نتائج قد تكون فاسدة المقدمات . بل نريد أن نرى الحقائق كما يراها كل من يحاول أن يفكر تفكيراً مستقياً في هذه البلاد .

ولا أظن أن شعباً كالشعب المصري يخيل لأكثر أفرادها أنه يكاد يبلغ سن الرشد ، ويمكن أن يشعر شعوراً صحيحاً بأنه حي وبأنه ذا حق في الحياة ، من غير أن يواجه حقائق الحياة العالية ويلبسها لباساً ، بل من غير أن يواجه حقائق البيئة وحالات الزمان والمكان ومنازع المنهج العالمي ، الذي يتعذر علينا أن نشعر بأننا في نهضة صحيحة من غير أن يكون له في حسابنا أكبر الوزن وأعظم التقدير .

كانت الثورة المصرية في سنة ١٩١٩ حركة عذبة طاهرة ، ضعيفة باطنياً ، فهي ثورة لم تقم على أساس من العلم ولا تنمية من نظريات سياسية ولا عقيدة فلسفية ، ولا يقين بأنه من حقنا أن نحيا حياة حرة صحيحة . وأكبر دليل على هذا أن الحماية أعلنت في سنة ١٩١٤ فلم تحرك مصري ساكناً ولا ارتفع صوت باحتجاج ، بل كان من زعماء المصريين أنفسهم من فكر في أن إعلان هذه الحماية على مصر كان الحل الوحيد الذي يمكن أن تخرج به مصر من مأزق الحرب العالمية من غير أن تصاب في الحرب برشاش من الدماء . ومع هذا فقد تردت مصر في غمرة الحرب وجردت ... و ٣٠٠ و ١ من أبنائها زجوا في صفوف الحرب ، فلما عقد السلام عاد هذا الجيش الجرار من مختلف الميادين التي حارب فيها بالفعل ، لا يحمل الا راية الحماية ترف فوق رأسه ورأس مصر .

هذه هي الحقيقة التي لا يمكن أن يشك فيها مفكر استقاه فكره ، وأراد أن يواجه أمته بصلابة الحق ، لا أن يزين لها الرشد تحت ستار الكلمات الخالية .

أما قيام الثورة فإن سببه يرجع الى شعور بالظلم استقر في النفوس منذ أخذت بريطانيا نصيباً في أموالنا واحتياجاتنا ، ومنذ حدثت ثمن محصول مصر الرئيسي



وهو القطن ، وأخذته متناً بارداً بأبخس الاثمان . حرمتنا من الانتفاع بملايين من الجنيهات كانت تخرج بها مصر من أغنى أمم العالم . ولكن للحجاة تمناً يجب أن يدفع ، في حين ان للشعور بالظلم نهاية لا بد من أن تظهر نتائجها . هذا يحصل ما في الثورة المصرية سنة ١٩١٩ . والدليل على هذا ان بريطانيا لم تنكس تمد الينا يداً بالوثام الكاذب حتى مددنا لها أيدينا غير شاعرين بأن اليد التي تعلن الحماية هي نفس اليد التي مدت لنا بما نعتقد كذباً وزوراً انه استقلال . هذا في حين ان قلوبنا بهذا المبدأ تسلیم في الحقيقة بما يترتب عليه من النتائج الباسية .

## ٢ — الاهزاب السياسية

في مصر ثلاثة احزاب سياسية ، يدعى أحدها — وهو حزب الاكثرية — انه حزب الاستقلال . ويدعى الثاني — وهو حزب الوسط — انه حزب الاستقلال ويدعى الثالث — وهو حزب الشمال — انه حزب الاستقلال . أما الحزبان الاولان فيدينان بمبدأ المفاوضة ، أما الثالث فلا يريد أن يفاوض ولا يريد أن يثور . في حين أن الحقيقة ان بين مبدأ ، لا مفاوضة ، وبين مبدأ ، الثورة ، فارقاً لا يكاد يرى . وهو بطبيعة موقفه هذا أصبح أضعف الاحزاب بغير حساب .

أما حزب الاغلبية حزبان . حزب أقلية يحتكم فيه كل التحكم ، وحزب أكثرية يخضع للأقلية خضوعاً غير محدود الا بخيال واحد ، هو الوحدة القومية . في حين أن الانسان لو فكر في هذه الوحدة القومية لوجدها خيالاً لا حقيقة ، والحقيقة ان حزب الأقلية الذي يحتكم في حزب الاكثرية ، عبارة عن أمم مستقلة استقلالاً تاماً في كل مراقبها ومصالحها وعقائدها ، تعيش في داخل أمم يستعبدونها أصاب اجني عنها . هذه هي الحقيقة رضينا أم لم نرض . ولا جرم أن نكون سياسياً يبلغ هذا المبلغ من ضعف التأليف ، لا يكون فيه من القوة الحيوية ما يلوح لنا من ظاهره .

فإذا عدنا الى حزب الوسط ، حزب الاحرار الدستوريين ، وقفنا على أقلية تريد الاتفاق مع الانجليز ، وتريد في الوقت ذاته أن ترضى نزعتها هذه بأن تجذب نحوها من الامة ، عدداً من الافراد ، ان لم يكونوا أغلبية عددية ، فلا أقل من أن يكونوا أغلبية ثقافية . ولكن هذا لا يرضى طرف الاتفاق الآخر وهو الانجليز . إذن فلا بد من اللجوء الى سياسة يتمزج فيها الضعف بالعنف ليفوز الحزب بالبقاء . ولكن



تقصه مع ذلك المبررات ، فأى مبرر من السياسة أو القانون يجعل قيام الحكم في يد الأقلية مستلزاماً مع قيام الدستور ؟ هذه هي العقبة الوحيدة التي تمنع هذا الحزب من أن يكون ذا قوة يشعر بها في البلاد شعوراً صحيحاً ، بعيداً عن فكرة أنه دائماً يقوم على مناديتين ، السلطة الشرعية في الظاهر ، والسلطة الفعلية في الحقيقة . وأضعف ناحية في هذا الحزب أنه يتعجل الحوادث ، فيضع يده على العجلة ويديرها بسرعة ، فإذا زادت سرعتها كان أول من تفلت من يده وأول من يسقط من فوقها . ولو أنه ترك العجلة تدور دوراناً طبيعياً ، لأصبح له في البلاد شأناً غير شأنه هذا ، ولتعدل الموقف السياسي بطبيعة الحوادث تعديلاً أكثر خيراً للبلاد .

هذا في أحزابنا السياسية ، أما حزب الاستقلال ففي معتقدي أنه لم يتكون بعد ، ولكن هل يتكون ؟ ! هذا ما لا يمكن التكهن به . وما دام أنه لم يتكون ، فتحن في عصر الخطاط سياسي بلا مراء .

### ٣ - التعليم

إن تعليمنا لا يتجه إلى مثل أعلى لا يكون تعليمنا ، بل أسرى به أن يسمى تلقيناً . فإذا تساءلت مثلاً أي مثل أعلى يتجه إليه التعليم القومي في مصر ، أو إلى أي غرض يرمى القائمون على أمور التربية ، فيأى شيء أنجيبت ؟ سائل نفسك ما هو الغرض الذي من أجله تنشئ ولدك أو ابنتك ؟ إن عجزك عن الجواب راجع بالضرورة إلى أن التعليم في مصر تقليد لا ابتكار فيه . فتحن نعلم أولادنا لأن بقية الأمم تعلم أولادها . ولكن لكل أمة من الأمم غاية ترمى إليها وغرضاً محدوداً تقصده من وراء التعليم وتجعل التعليم وسيلة إليه . فإذا تساءلت عن الغاية التي ترمى إليها من التعليم والمثل الأعلى الذي تتخذ التعليم وسيلة إليه ، عجزت عن الجواب ، وكان عجزك أبلغ في الدلالة على أنك في عصر الخطاط منك إذا لجأت إلى الف نظرية تحوكمها لتخفي ضعف المتجه التعليمي في مصر .

### ٤ - الصحافة

إن أكبر مظهر من مظاهر الانحطاط في هذا العصر ، إن صحافة البلاد كلها تنقسم إلى قسمين . صحافة حزبية ، تؤيد الأحزاب التي تشمى إليها حقاً وباطلاً ، وصحافة زبغية ، ترمح على حسب قوة الدفع تحت ضغط الحوادث . هذا من حيث الصحافة



السياسة . أما الصحافة الأدبية قسم منها يحاول الجد فيها ينشر ويحاول النفع العام من طريق بث المذاهب الحرة علياً وفلسفية، وهذه أقل الصحف انتشاراً في مصر وفي العالم العربي ، وقسم يستغل شهوة الجماهير وانفعالاتها ، وهي أكثر الصحف انتشاراً . ولا جرم أن هذا المظهر الغريب يدل في أول ما يدل عليه أن التطفل الصحفي بالغ في مصر أنهى مبالغه ، بل إن هذا التطفل هو طريق النجاح الوحيد في العمل الصحفي .

أما الصحف المستقلة الحرة التي لاندن إلا بحرية العقيدة والفكر ، ولا تبغى إلا البحث وراء الحقيقة في السياسة والأدب والعلم، ففتش عنها بمصباح (ديوجينيس) إن كنت تعثر لها على أثر في طول البلاد وعرضها . وهذا دليل ثابت على أننا في عصر انحطاط .

## ٥ — العلم والأدب

أما العلم ، وأما الأدب ، فلا أقل من أن نقول فيهما أن مظاهر الانحطاط فيهما أظهر منها في كل مظهر آخر من مظاهر الحياة في مصر . حقيقة إن لدينا بعض العلماء ، وحقيقة أن لدينا بعض الأدباء ، غير أن هذا كله لا يكفي في معتقدي لأن ندعي أننا قد كونا في العلم والأدب بيئة صحيحة .

يعتقد الكثيرون أن رقي العلم والأدب راجع إلى كثرة عدد العلماء والأدباء . في حين أن الحقيقة ليست مسألة كم بل مسألة كيف صرف . ليست مسألة عدد بل مسألة صفة . فقبل أن تسأل عن عدد العلماء والأدباء ، اسأل عن صفاتهم تعرف الحقيقة . والحقيقة أنه ليس لدينا بعد من انقطع للعلم لذاته أو للأدب لذاته . ليس منا من يشعر بأن العلم والأدب مطلوبان لذاتهما ، لئلا يجرأ من المغاتم والكسب المادى . وهذه أول خطوة في سبيل تكريم الجو العلى ، وقيام الأدب على أساس ثابت .

أين العالم الذي يشعر بحمال العلم ؟ وأين الأديب الذي يشعر بحمال الأدب ؟ أين من انقطع لأحدهما ؟ أين من عرفهما على هذه الحقيقة ؟ بل أين من أعنيان من عرف قيمة العلم والأدب مقيسة على هذا المقياس ، فكان شاعراً بحمال العلم والأدب فزهب من ماله بعض الشيء ، ليقوى في النفوس نزعة العمل للعلم والأدب لذاتهما ؟ هذا دليل آخر على أننا في عصر انحطاط .



## ٦ - المثل العليا

إذا كان شأننا في الثورة وفي الأحزاب السياسية وفي الصحافة وفي التعليم وفي العلم وفي الأدب على ما رأينا ، فإن هي المثل العليا التي توجه نحوها فيما ندعى من نهضة نهضتها ؟ الحقيقة أنه ليس لدينا مثل علياً ، بل لدينا مثل سفلي ، نجد وراءها متاهين حلتها. لدينا من المثل السفلي ما يكفي لأن يثبت أننا جزء من النوع البشري ، ولكن هل لدينا من المثل العليا ما يكفي لأن نكون أمة ناهضة بالفعل ؟ سائل نفسك أين المثل ، وأنت تعرف أنك في عصر انحطاط .

وأكبر دليل على هذا أننا فهمنا الحياة على غير حقيقتها . فهمنا في المدنية أنها التمتع بظواهرها . حتى المرأة فاتها لم تفهم من المدنية الغربية إلا أنها المخالطة الحرة والمرقص . لم تفهم المرأة عندنا أن للمدنية الغربية مع مراقصها وملاهيها مثلها العليا تلك المثل التي إن فقدتها ، فقدت صفة أنها حضارة وأنها مدنية .

## ٧ - النقيض

أنا في عصر انحطاط ، يتناول كل مرافق الحياة ، وكل معايير المدنية . أما حاجتنا فتدب إلى زعماء يكشفون عن جسم هذه الأمة المسكينة كساء الباطل الذي نسجه الوهم وحاكته الزعامة السياسية كسباً لعطف الجماهير وانتفاعاً بأهوائها . نحن في حاجة لمن يقول أننا في عصر انحطاط ، وأننا في عصر انحلال تناول كل وجه من وجوه العمل للرق الحقيقي .

نحن نعمل لشهواتنا . وهذا أبعد شيء عن أن نكون عاملين على تكوين وجه صحيح من أوجه الحضارة .

اسماعيل مظهر







يدفع لهم العالم عنها ربحاً سنوياً قدره ١٠٠٠٠٠٠٠٠ ريال وقد بلغ مقدار التجارة الأميركية في الخارج ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ريال وهذا النمو الاقتصادي يستلزم حماية الحكومة الأميركية وابتعادها عن سياسة العزلة قال أحد رؤساء الجمهورية ماك كيني «ليست العزلة أمراً ممكناً ولا مرغوباً» وقال الرئيس ولسن «نحن نشترك في حياة العالم سواء أردنا أم لم نرد» ، والذي يهم الشعوب الأخرى بهم شعبنا ، وما يحدث من الحوادث يصيبنا ويؤثر فينا ، كما يصيب شعوب أوروبا وآسيا ، وكذلك لم تستطع أمريكا إبان الحرب إلا أن تشترك فيها

افتقرت أوروبا في الحرب وأصبحت في حاجة إلى معونة أمريكا ، وعجزت هذه عن كف يدها عن الخارج ، حتى لم يعد هنالك أي مشروع اقتصادي ضخم في أي بلد من بلدان العالم ، إلا وللأمريكيين علاقة به . وقد أدى نمو المصالح الأميركية على هذا النحو إلى تحولها بمساعدة السياسة الدبلوماسية الأميركية و — في بعض الأحيان — المراكب الحربية الأميركية .

وتختلف سيطرة أمريكا في الخارج عن إحداها الأخرى في مقدار أهميتها فقط . ويظهر نفوذها في غرب أوروبا بشكل غير مباشر في مثل مشروع داوز أو منع إقراض القود لفرنسا ، أما في شرق أوروبا والشرق الأدنى . فإن المستشارين الماليين الأمريكيين قوة تكاد تكون ديكتاتورية . وتسود أمريكا على كل شيء في جمهورية ليبيريا ، ماعدا الاسم ، وتسيطر مراقبتها في الصين — بمشاركة دول أخرى — على الجمارك والمالية ، ولها هناك موظفوها المدنيون والعسكريون . وبحر كرايب ( أمريكا الوسطى ) هو من الوجهة العملية تابع للولايات المتحدة . وليس في وسع جمهورية من جمهوريات أمريكا الوسطى أن تقف موقفاً مضاداً لواشنطن بدون بغير مساعدة خارجية ويعتمد نفوذ أمريكا الحقيقي إلى كوبا وبناما ، ويسود الأسطول الأمريكي هايتي ونيكاراجوا . هذا وهناك ١٤ جمهورية من العشرين جمهورية المكونة لأمريكا اللاتينية — تخضع في ماليتها وخارجيتها وحريتها للولايات المتحدة

يضاف إلى ذلك مستعمرات أمريكا التي اشترتها واستولت عليها عنوة ، وهي الفلبين والاسكاهوائي وجوام ، وبورتوريكو وجزائر العذاري كل هذه المستعمرات ومناطق النفوذ لم تكف أمريكا ، وقد أثار ذلك حسد الحكومات الأوروبية فرفعت الضرائب الجركية في وجه البضائع الأميركية ، يضاف



الى ذلك ان أمريكا لم تعترف بروسيا وانها تثير ضغط اليابان بمنع أبنائها من الهجرة الى الولايات المتحدة وانها مضطرة الى حماية رعاياها في الصين بقوة الاسطول وفيما عدا ذلك فانجلترا هي التي تقوم باقى الاجراءات للوقوف في وجه ازدياد السيادة الأمريكية . وانجلترا تبنى دولتها العالمية على سيادة البحار ، والسيطرة على الاسواق الخارجية ، ومراقبة احتياطي المواد الخام كالبنترول ، وهذه هي الاسباب الحقيقية للنضال . ورغم التحدث عن المصافحة عبر المحيط والثروة والهذيان بذكر الوحدة الانجلو اميريكانية فان هاتين الدولتين سيكونان في حالة الحرب على رأسى الجبهتين الاقتصاديتين المتحاربتين

وستدخل انجلترا هذا الكفاح ولها مزايا القديم ونفائسه فهي تملك شطراً كبيراً من العالم ولديها الخبرة الاستعمارية ولكن حيويتها قد غاضت الى حد يلفت النظر ، ومن الصعب عليها أن تحتفظ بالنظام داخل امبراطوريتها كما أن تشكيلاتها وصناعاتها من النوع العتيق . والظاهر أن نفس نظام بناء قوة الدول على امتلاك أقطار ومستعمرات لم يعد يتلاءم مع المستقبل . عدا ان انجلترا رغماً عن المنافسة القوية التي تواجهها به أمريكا وغيرها فانها مضطرة أن تجعل مستعمراتها المستقلة في مركز مساو لمركزها وفضلاً عن ذلك فان الثورة في الهند ومصر لا تزال في ازدياد

أما أمريكا فرغما عما لديها من الموانع إلا أنها تمتاز بميزة الشباب وبحماية حدودها ( سواحلها ) شرقاً وغرباً وبوفرة غناها الطبيعي الذي يزيد الحرب بينها بحرق الفاقة على أعدائها ، فهي العدو خطر يثيره اعتقاده بعدالة مهمته في تمدين العالم فيدخل الحرب بحماس الحروب الصليبية مما يكفل النصر في أغلب الأحيان

• • •

يرى عدد عديد من رجال الاقتصاد انه لم يعد في وسع انجلترا أن تحتفظ بمركزها كمركز صناعي للعالم فقد كانت تشتري محاصيل المناجم والزراعة من شرق أوروبا وتصنع منه البضائع التي تبيعها هناك . ولكن تلك البلاد قد ترقى صناعياً فلم تعد في حاجة الى وساطة انجلترا ، ومن سوء حظ انجلترا انه ليس فيها صناعة زراعية تعوض بها ما تفقده في النواحي الأخرى

وقد أدى تقدم الصناعة في تلك البلاد التي كانت تستورد من انجلترا ، ليس الى استغنائها عن البضائع الانجليزية ( وفي مقدمتها المنسوجات القطنية ) فحسب ، بل الى ظهور أسواق جديدة ( أمريكا مثلاً ) تورد ما يلزمها من العدد والآلات ، وهذا



كما يزيد حدة التنافس بين إنجلترا وأمريكا. وهو تنافس تتغلب فيه الولايات المتحدة نظراً لمركزها الجغرافي الممتاز وتفوق طرق الصناعة فيها وسهولة عقد القروض بما يجعل الدول الناشئة جديداً تلجأ إليها، وقد اشتركت الولايات المتحدة في اعداد أمريكا الجنوبية وآسيا بلوازم التعدين بنصيب يفوق نصيب إنجلترا وذلك بشكل غير مباشر بأعارتها رؤوس الاموال اللازمة وبشكل مباشر بالاشتراك في صناعة تلك الاقاليم

وقد حاولت إنجلترا أن تقاوم أمريكا بجعل مصانعها وطرق البيع عندها على الطريقة الأمريكية فأرسلت سنة ١٩٢٦ بعثة ما كنزي الى أمريكا لدراسة أسباب تفوقها الصناعي، وأعلنت وزارة العمل الانجليزية تلك الاسباب التي جاء منها: ثروة الولايات المتحدة في كنوزها الارضية وموادها الخام وعدم وجود حواجز جمركية وغيرها بين ولاياتها المختلفة وبإزالة وبساطة طرقها في الصناعة وضخامة منتجاتها الصناعية ورخص مولات القوى ( الفحم والسلالات الخ ) وتأثير الجفاف ( منع آخر ) الحسن، على المنتجين والمستهلكين والاشتراك بين أصحاب رؤوس الاموال والعمل الذي يجعل العمل يذوق كل قوائم لزيادة الانتاج

الكتاب الرابع من سلسلة دراسات

في ٢١ يناير ١٩٢٨ أعلن الاميرال شارلز بلانكيت قومندان ترسانة بروكلين تعضيداً لبرنامج كولينج في تخصيص ٨٠٠ مليون ريال للاسطول و أن الكفارة التي تكفر بها أية دولة عن تقديمها الصناعي، هي الحرب لا مندوحة عنها، وعند ما يتبع المرء سير الحوادث بانتهاء يرى ان أمريكا أقرب الآن الى الحرب منها في أي زمن مضى، إذ أن مركزها الاقتصادي الحالي يضعها في تنافس مع دول اقتصادية عظيمة أخرى و ليس يخفى انه قصد إنجلترا بكلامه، ورغمما عن التكذيبات الرسمية فقد بقيت الحقيقة أمراً واقعاً

وعلى كل حال فانا نعد أنفسنا بحماسة ونشاط لحرب يتناوب بين إنجلترا، يرى ضباط بحريتنا أنها ستفصل في مسألة التفوق الاقتصادي، والشعب الأمريكي أقل الآن ميلاً لعدم تعضيد التسليح ضد إنجلترا، إذ هو يعتقد بحق أو بغير حق أن إنجلترا قد سعت بالاحتل والهيمنة في مؤتمر كولينج بحيف - لوضع أمريكا على الدلالة في مركز بحري ثانوي، يضاف الى ذلك مسلكتها في مؤتمر واشنطن، وما وافقت إنجلترا أخيراً على أن تكون نسبة اسطولها لاسطول أمريكا واليابان كـ ٥ : ٥ : ٣



الاعجزها عن إيجاد المال اللازم للتنافس في بناء المراكب الحربية ، ولأن البحارة  
البحريين قد أفنوا أخيرا بأن هذه المراكب الحربية ستفقد كثيرا من أهميتها في  
الحروب المقبلة وسيعتمد من القيادة الحديث على القطع الصغيرة كالسافات والمدمرات  
والغواصات والطائرات ، وهي الأسلحة اللازمة للمحاصرة وحماية أو مهاجمة  
المراكب التجارية وغيرها

وقد خرجت إنجلترا من مؤتمر واشنطن وهي أقوى أسطولا عما دخلته ،  
إذ تقرر الإقلال من بناء المراكب الضخمة التي تمتلك إنجلترا منها عددا كبيرا وبذلك  
أصبح في وسع إنجلترا أن تكثر من بناء المراكب الصغيرة . وعارضت فرنسا في  
الاستغناء عن الغواصات إذ هي الضمان الأكيد في حالة حرب ضد إنجلترا ، وكانت  
النتيجة أن عارضت إنجلترا في تقليل عدد المراكب الصغيرة . ووافق المستر هيوز  
رغم مشورة خبرائه في المساواة بين أمريكا وإنجلترا في المراكب الضخمة التي كانت  
أمريكا تستطيع أن تفوق على إنجلترا في بنائها (معها كثر عنها) ثم طلب المستر  
هيوز المساواة في السافات التي ليس لأمریکا منها إلا عدد صغير بينما أن إنجلترا تمتلك  
منها عددا كبيرا جدا . فرفضت إنجلترا وألحقت المساواة

ووضع الأسطول عقب المؤتمر برنامجا للأسطول . زيد من الفرق بينه وبين  
الأسطول الأمريكي . فكان ذلك الأبرالية من حمل الحكومة التي شعارها : التوفير  
قبل كل شيء . على إعلان أنها لا بد من المساواة بين الأسطولين أما بواسطة  
معاهدة وأما ببناء قطع جديدة . ولما تفهم مائرجه إنجلترا من مصلحتها هذا ،  
قالوا ليات المتحدة تستعد للحرب كما أوضح الأميرال بلاسكوت . وسيخسر الشعبان  
في الحرب ولكن خسارة بريطانيا ستكون أشكى وأعظم ، فسيقطع بقاها  
كامبراطورية ضخمة وذلك للأسباب الآتية :

في بحر السنوات العشرة القادمة ستجعل أمريكا أسطولها التجاري مساويا  
على الأقل لأسطول إنجلترا التجاري كما تم في الأسطول الحربي ، يضاف إلى ذلك  
أن أمريكا متفوقة في الرجال والمواد الخام ، والمأكرلات ، والاحتياطي من المال ،  
ووسائل الدفاع الطبيعية ، وستعاني إنجلترا على الأرجح صعوبات العمل والنفاج  
السياسي في بلادها وكذا ثورات الوطنيين المطالبين بالاستقلال في كثير من  
مستعمراتها ، ثم أن إنجلترا معرضة لمهاجمة جيواناتها الأوروبية لها بالغواصات  
والطائرات ، والكثير من هؤلاء يرجون بالفرصة لأكمال هزيمة بريطانيا لأنهم



يعبوتنا بل لأن كراميتهم لبريطانيا أعظم . أما أعداء أمريكا أي المكسيك ودول أمريكا الوسطى فهم ضعاف جداً نسبياً ، وأما كندا فالمرجح جداً أنها لا تتدخل في هذه الحرب ، كما يرجح بقاء اليابان على الحياد لتشهد عدوها اللصوص يحطم أحدهما الآخر . بل ولو سلمنا جدلاً بأن إنجلترا ستقتصر في البر والبحر فإن الجراح البليغة التي ستصاب بها داخلياً وخارجياً تجعل هذه الدولة الواسعة الأطراف غير قادرة على القيام بمهامها كما كانت

\*\*\*

وهذا ما يراه كل انسان ماعدا أولئك القوم الذين يدبرون البحرية والخارجية ، وهناك في كلا البلدين أناس من ذوي النفوذ يسعون للتصالح ، والحل الوسط ، وذلك بعقد معاهدة سياسية اقتصادية تسوى كل مسائل النزاع بين الدولتين . ولكن عقد مثل هذه المعاهدة ليس ممكناً من الوجهة العملية . وقد ضاعفت أمريكا جيشها في وقت السلم ، كما أعدت احتياطياً كبيراً ، ولا يزال الكفاح من أجل التزول يتسع ولم يند هذا السلم الظاهري الكاذب .

ARCHIVE  
Digitized by Google



## المرأة

لوراندورات طاقور

ملخصة عن الانجليزية

حين تدفع الذكور إلى النطاحين وتقتل بعضها البعض ، فللطبيعة مسئولياتها في هذا الشأن — ذلك أن حاجتها إلى الإناث أشد منها إلى الذكور — وبما أن الطبيعة مجبولة على مراعاة مصلحتها الاقتصادية ، فهي لا تعنى عناية خاصة بذلك الجنس الميال إلى العراك ، خصوصاً وإن ما يدفعه الذكور من واردات الطبيعة نصب ضعيف — ولهذا فمن شاهد أن الإناث في عالم الحشرات تتكفل بحصر عدد الذكور عند الحد الذي تدعوه إليه الحاجة الجنسية .

أما وقد تخلص الذكور في العالم الإنساني من قسم وافر من مسئولياتهم تجاه الطبيعة ، فقد نالوا بذلك حرية الحركة والمغامرة ، والمعروف عن الإنسان أنه الحيوان صاحب الآلة — وهذه الصناعات خارجة عن دائرة اهتمام الطبيعة . وفي الواقع أن الإنسان قهر الطبيعة بذلك القوة التي استمدتها من الآلة ، وبما أن القسط الأعظم من قوى الرجل قد تحرر تحرراً تاماً من قيود الطبيعة ، فقد استطاع بذلك أن يعنى بقوة الآلة فيجعلها عظمة فعالة . بيد أن المرأة وهي ما تزال تحتفظ في الملكية الإنسانية بالعرش الذي أجلسها عليه الطبيعة ، ترى أن الرجل قد أقام له ملكاً جديداً في عالم العقل ، وقد استغل الرجل حريته من القيود الطبيعية التي تربط بها المرأة في طريقه سيراً حثيثاً ، إلا أنه محفوف بالمخاطر ، مزدحم بالثورات والتقلبات

والمرأة تهر مبالغة بطبيعتها إلى المغامرات والضرب في صدور المجهرولات حبات الاستطلاع — وكل قواها تعمل عملاً غير يربوياً لالباس الأشياء ثوباً من الكمال ، لأن هذا هو قانون الحياة : ومع أنه لا يوجد الحياتنى . كامل ، إلا أن كل حركة من حركاتها تحصل معها قفزة من غمات الكمال ، حتى السكم له معناه من الكمال كذلك الزهرة ثم الثمرة ولكن البناء غير النام ليس له ذلك المعنى من الكمال في ذاته وإذا ظل البناء يذهب في أحجائه كل مذهب ، خرج بذلك عن معناه من الاستقرار ، ومن مبادئ الرجل في مدينه ، أبراج بابل ، وهذه نما لا تراعى في ذهاب أحجائها ،



قوة أسسها ولا أصول النماء ، ولذلك تسقط المرة بعد المرة ، وليست مدينة الرجل  
نماء متواصلا وإنما هي عملية منقطعة تكون طبقاتها الكثيرة من خرائب وبقايا  
مدنيات عدة

ومدينة الظور الحال من التاريخ هي مدينة الرجل ، وهي مدينة من القوة لا بكاد  
يكون للبراءة شأن يذكر فيها لهذا فهي ( المدينة ) مملوءة من روح التوازن وتوفر لسيورها  
من حارب إلى أخرى ، وربما أنها ذات جانب واحد وهو جانب الرجل ، فهي تتعلم  
بسرعة فائقة على صخور قاسية من التوازن المتعاقبة .

وقد حان الزمن الذي يوجب تدخّل المرأة ويبحث نفقات حياتها المتساوية إلى  
قلب تلك الحركة المضطربة من القوة .

وعمل المرأة في الحياة هو العمل السلي الذي تعمّله التربة الأرضية التي لا تساعد  
الشجرة على النمو فقط ، ولكن تحصر نموها ضمن حدود معروفة أيضاً . وللشجرة  
حق النماء وإرسال أنصافها بأسفل إلى كل الجهات ، ولكن روابط صلاتها العميقة مع  
التربة الداخلية يجب أن تظل متضاربة في باطن الأرض بحجة من الاظفر . وفي هذا  
حفظ حياتها وقوة نموها ، وللمدينة الإنسان أن يستمع بفتاها الطبيعية وأن تذهب  
في غنائها كل ذهب ، ولكن أصولها يجب أن تظل ثابتة في مراكر أسسها ، وإذا  
فقدت تلك الأصول قوتها من الأخلاق أصاحت المدينة كل ما طام من بناء ونماء  
ومثلة المدينة تقدر بما فيها من الروح الأخلاقية ، وهذه حقيقة لم يعمل بها  
الإنسان بعد العمل الحق ، ولكنه فهم ما فيها من جوهر الصدق .

وليست المدينة مجرد نمو ولكنها تسابق في النمو ، ولا هي مجرد نفقات ترسل  
كيف كان الأمل . ولكنها نفقات مضبوطة بتوقيتها ، وهذه الضوابط لا تنطبق سيرها  
في جرياتها ، ولكنها تزجبه وتدفع به إلى الأمام ، وذلك كشاطئ البحر يزجي جرياته  
ويحفظ مياهه ضمن مجراه بل أن تسيل كل مسيل وتختفي في مستنقعات متفرقة في  
مختلف الأماكن ، وتصبح المدينة بذلك لا تتعارض وحركات الحياة ولكنها  
تسير بها إلى الحق والجمال .

وقد طبعت المرأة على الصفات السلبية للغة والاحتشام والاختلاص والضعف  
أكثر من الرجل ، والجانب السلي في الطبيعة هو الذي يحول قواها العظيمة إلى إبداع  
ناعم من الجمال . فنقلب قواها الجامحة إلى قوى مرونة موقوفة على نعم الحياة ، وهذه  
الصفة السلبية في المرأة منحها تلك الثروة العظيمة من الرزاق اللازمة لمعالجة



وتغذية وقهر قبل الحياة، ولو أن الحياة لسراف كلها لشابت شعة من النار تذهب إلى حين ثم تنتهي بخفة من الرماد. وواجب الحياة أن تكون كالسراج، قوة النور الكامنة فيه، أعظم في صفها، مما يظهر في لحيه. وقوة الحياة الكامنة فيها، توجد هناك في أعماق سلبية المرأة.

وبلاحظ في المرأة الغربية ثققل وعدم استقرار، الأمر الذي لا يتفق وطبيعة الأنثى. والمرأة التي تحتاج في إثارة اهتمامها إلى حافز خاص من الأشياء التي تحيط بها، تدل بذلك على أنها فقدت صلتها بعالمها الحق.

ويظهر أن البعض من نساء ورجال الغرب يعملون الأشياء العادية وينظلمون إلى ما هو غير عادي، ثم يوجهون كل جهودهم في البأس هذا الشيء الغير العادي ثوباً كاذباً من الحق الموهوم، حتى يستلقوا به الانظار، غير معنيين بقيمة ذلك الشيء من ناحية كفايته لسد الحاجة المنشودة، أو عدم كفايته لذلك. والجهود التي تصرف في هذه السبل أكثر ضرراً بالنساء منها بالرجال لأن حيوية النساء أقوى من حيوية الرجال، إذ هن أمهات الجنس **والمسكلمات يحفظه**. واهتمام المرأة بالأشياء التي تحيط بها، والتي هي الأشياء العادية في الحياة، اهتمام صادق، ولولا هذه العاطفة الصادقة فيها لفتى الجنس فناء عزناً. ودوام التجار المرأة في إثارة اهتمامها، إلى حافز خارجي من شأنه أن يولد فيها عادة عقلية مخدرة تسبب لها حساسيتها فتفقد بذلك قوة عاطفتها الحساسة، وتضيق بهجة أثوثها وقوتها الصادقة في حفظ النوع.

واهتمام الرجل بالناس يكون صادقاً إذا وجد فيهم هبة خاصة من القوة أو الفائدة وأما المرأة فتهم بالناس لأنهم مخلوقات حية ولأنهم إنسانيون فقط، غير معنية بأية اعتبارات أخرى. وهذه العاطفة القوية في المرأة تجعلها ساحرة للأسباب وفيض اهتمامها الحيوي، له من قوة السحر ما يجعل حديثها وفحكاها وحركاتها وكل شيء فيها جميلاً عجباً، ونعمة الجمال توجد في ذلك الانساق مع كل ما يحيط بنساء ما يسترعي الاهتمام، ومن حسن الحظ أن عالم حياتنا اليومية، له جماله الجارح من الأشياء العادية. وإذا اعتادت المرأة أن تقدر الأشياء بما فيها من المصلحة لها، أن يتحدثك بالحاحها، وأنحرفت بروحك عن نقطة تقابلها مع الخالد، وحنقت صوت اللانهاي الذي فيك بوضوء لا معنى لها من الحركة المستمرة.

ولست أعني بذلك أن الحياة البيتية هي الحياة الوحيدة للمرأة، وإنما أعني أن العالم الانساني هو عالم المرأة، والحقيقة التي لا تنكر هي أن المرأة منذ أن تولد بين



يدى أمها ، قائما هي تولد مركز عالمها الحق ، وهو عالم الصلات الانسانية .  
 وواجب المرأة أن تتخلى بقوة عاطفيتها ، ظواهر الاشياء الى دواخلها حيث  
 يوجد في قلب سر الحياة مورد لا ينضب من دواعي الاهتمام ، والله قد أرسل المرأة  
 لتحب عالم الاشياء العادية والحوادث الجارية ، وأما الرجل فيعيش في عالم يبدعه هو  
 من القوة والمال .

وفي هذا الطور من المدنية الذي يسمح فيه بثويه الافراد والتفاخر بذلك باسم  
 الوطنية ، تصير المرأة محجل من أنوثتها ذلك ان الله أرسلها لحفظ الفرد والعناية به ،  
 والافراد في اعتبار المرأة من وجهة واجبها الالهى ، أكثر قيمة من الجيش والبحرية  
 والمعامل وما الى ذلك .

وأما الرجال فقد أخذوا بنشوة القوة ، فاحتقروا الاشياء الحية ، والصلوات  
 الانسانية ، فكثير من النساء أيضا أخذن يحسن صيغتهن في ميل نكران حقيقة  
 أنوثتهن ومحاوفايات أن حقيقة المرأة اليوم ، توجد هناك حيث تثل القوة والنظام .  
 ومدنية اليوم هي مدينة الرجل ، وقصة الفرد فيها تنقص اليوم بعد الآخر ،  
 فالنظام الآن يتعدى على متعة التفرد للصلوات الشخصية ، وتتخلى العاطفة عن مكانها  
 للقانون .

وفي بعض القبائل تقل المواليد الاناث حتى يحضر عدد النساء عند حد معين ،  
 والمدنية الحالية تعيد هذه العملية بصورة أخرى فهي تطلب المرأة من ربتها وتدفع بها  
 المسكاتب ، وتشغل بقوتها كل مكان حتى لا تكاد تجد المرأة مكانا تقف فيه كما تريد  
 طبيعتها أن تكون .

وتاريخ تكوين الارض يفشنا عن عصر مضى كانت الظواهر الطبيعية فيه معلقة  
 اليد في تصرفاتها من ثوران وجيشان ، فلما وصلت الارض في نزوحها الى طور  
 ثابت أبت على تلك الظواهر ، حرية تصرفاتها المخربة ، وهذه المدنية المؤلفة من  
 تنافس اقتصادى وقوى محتربة ، لا بد وان تصل الى عصر نزوح ترتكز فيه على قوة  
 الحق والجمال لا قوة التنافس والتطاحن .

وبالرغم من أن المدنية الحاضرة هي مدنية الرجل لا انها تقوم على القوة ، فليس  
 في استطاعتها تجاهل المرأة .

والمرأة لا تسعى الآن الى كسب الرزق فقط ولكنها تسعى ضد احتكار الرجل  
 للمدنية لان في ذلك الاحتكار حطة لقيمة المرأة



وذلك المركبة الهائلة من النظام والقوة في المدنية الحاضرة : تسير في طريق الحياة  
مرسلة أصواتا منكرا ، وباعثة الشقاء والافجاء في كل خطوة تخطوها ، ذلك أن  
غايها هي سرعة السير غير معينة بأية اعتبارات أخرى .

وواجب المرأة أن تحافظ على أزهار العواطف من انفحات المدنية اللاذعة ، وأن  
تستشعر مسئولياتها التي زادت قيمتها وعتتها في العصر الحالى لأن المرأة مسئولة  
عن العناية بالافراد والمدنية الحاضرة تتجاهلهم فعليا هي أن تمد يدها وتضمدهم وجهم  
وتتحقق من أوجاعهم .

وقد أبلغ الرجال مبلغ مخف مدنيهم القائمة على فكرة الوطنية - أعنى على  
الاقتصاد والسياسة وما يتبع ذلك من الروح الحربية .

والمرجو أن تقوم المدنية القادمة على التعاون الاجتماعى العام فتحل المرأة  
مكانها الحق فيها والرجال قد توهموا أن في ادارتهم تلك النظم الهائلة من المدنية معنى  
من معنى الكمال وهذا خداع كاذب ما بعده خداع . ويرأى أن المرأة سوف تجد في  
المدنية القادمة تعويضا لما لاقته في المدنية السابقة من تكرار واضح  
وأولئك الفخوريون بقوتهم المشرقون في استخدام القوة والتسلط بأساليبها ،  
والذين قنعوا المعنى الصحيح من تعاليم سيدهم التي تقول : طوبى للودعاء لأنهم  
يرثون الارض . ، أولئك القساة القلوب سوف يقهرهم الجيل القادم ويحط من  
كبرياتهم .

وهذا هو عين ما حدث قبل التاريخ ، تلك الخلائق الخفيفة من أمثال الناموس  
والدينصور وما الى ذلك اذ فقدت ذلك الخلائق القوية ميراثها في الارض وتخلت  
عن مكانها لمخلوقات أخرى أضعف منها جسداً وقوة ولكنها أصلح للحياة  
وأضمن بها منها .

والنساء الضعيفات في ظواهرهن ، واللواتى كن دائماً متروكون في المؤخرة  
في خلال تلك الخلائق الخفيفة المعروفة بالرجال ، أولئك النساء سوف يحتلن في المدنية  
القادمة مكانهم الحق وتتغلب الرجال عن سلطاتهم اليهن ، وما شاء الله كان .



# بين الصحف والمجلات

سطوة الأديان على حرية الفكر

رد على مقال الأستاذ فريد وجدي ، سطوة الاتحاد على الأديان ، وقد أخصاه في العدد ٣٣ من المصور

لا أعرف كيف يجوز لعالم مثل الأستاذ محمد بك فريد وجدي أن يكتب هذا المقال وتحت هذا العنوان . فإذا فرض وصلنا بأن للاتحاد في هذا العصر سطوة على الأديان ، فلماذا لا يذكر ما كان من سطوة الأديان على حرية الفكر ، وعلى العقول تغلبها وتصددها عن مسيرة متجهاتها الطبيعية خلال كل العصور ؟

لماذا لا يذكر محاكمة سقراط بحجاب الحادية طاليس ؟ ولماذا لا يذكر اضطهاد كوبرنيكوس وغاليليو وإسحاق جيوردانو برونو وغيرهم ، بحجاب ما يذكر اليوم من سطوة الاتحاد على الأديان ؟ على أن في قول الأستاذ بأن للاتحاد على الأديان سطوة ، مغالطة صريحة . فليس للاتحاد سلطات يقوم عليها ، وليس في الأرض حكومة واحدة ، دينها ، الرسمى للاتحاد ، ليكون للاتحاد فيها سطوة على الأديان . اللهم إلا روسيا ، وهي بلاد ليست في حالة فيئسية طبيعية لتتخذ دليلاً يستدل به ، وحجة يركن إليها

والحقيقة أن الأستاذ وجدي قد ظهر في مقاله متأثراً بكل ما أخرج العقل اللاهوتي من الآثار التي تقبل على غير وعي من العقل بحقيقتها . فجرد قوله : سطوة الاتحاد على الأديان ، يدل على هذه الحقيقة أقوى دلالة . ذلك لأن كل المبدعات الحديثة يصح أن يقال إن فيها أثراً من الاتحاد إذا أخذت على أنها تنافي الأديان أو قواعدها المقررة أو تفسيراتها التي فسرت بها الكتب المقدسة . وليس أمامنا إلا أمرين اثنين إزاء هذا الموقف : فأما أن نقول إن التفسيرات القديمة كانت خطأ ويجب أن توضع تفسيرات أخرى تطابق المبدعات الحديثة ، وعلى ذلك تحكم على كل الأجيال الماضية بأنها فهمت الدين فهماً غير مصيب ، وأنها أخذته تقليداً ، كما هو الواقع ، وذلك أحط ضروب المعتقد ، وأما أن نقضي بأن الأديان وتفسيراتها أشياء خاضعة لمبدعات العقل ، وأن العقل يكونها تكويناً جديداً كلما شعر بالحاجة إلى ذلك



ارضاء لزعة الاعتقاد الكاذبة في النفس الانسانية ، وبذلك تفقد الادبيات قدسيتها وغيتها ، وتصبح مظهر اغنياً بسيطاً كأي مظهر آخر من مظاهر النفس الاجتماعية واني لا اعتقد أن الذي دفع الاستاذ وجدي بك على أن يضم عنوان مقاله في هذا الثقال ، حقيقة محسوسة . وهذه الحقيقة ان حرية الفكر قد تنازلت بالنقد في الماضي الفروع ، أما الآن فانها بدأت تعمل القاس اثباتاً في الاصول ، وهذا ما يدعوه وجدي بك ، خطوة الاتحاد على الاديان .

ولو رجعنا إلى تاريخ تطور الفكر الانساني لوقعنا على حقيقة لو أن الاستاذ وجدي جعل لها في كلامه بعض الاعتبار ، إذن لا يمكنه أن يمرر أن تحول الفكر نحو البحث الحر ، وهو الذي يدعوه الحاداً ، كان ذو خطي منسقة بحجة النظام وأنه أتبع نهجاً رتبياً ، أخذ يتدرج فيه خلال الأزمان .

وليس لنا أن نسرد له نفساً كاملاً من هذه التدرجات ، بل يكفي عندنا أن نقول له ان حرية الفكر حدثت من أول الأمر إلى التخلص من التقاليد مستندة إلى الاستنتاج العقلي ، أما اليوم فانها حدثت إلى الغاية نفسها مستندة إلى الاستقراء العملي . ولا جرم أن السادة الاطهرة أنوى أثر من أصول التقاليد والثر فاساً ، بيد أنها أثبتت قديماً ، ذلك لأن التقاليد انحار بانها الاستقراء العقلي فعلت ثابت .

لما أعلن يهود هولاندا فصل سينوزا ، النظيم عن هكل اليهودية لالحاده أرسل اليه أحد تلاميذه الاقدمين وكان اسمه هـ الثيرت بورغ ، Albert Burgh خطاباً جاء فيه

« تزعم أنك وجدت أخيراً الفلسفة الصحيحة . فمن أين عرفت أن فلسفتك أفهم من كل صور الفلسفة التي علقت خلال كل الأجيال وفي مختلف أنحاء الدنيا التي تعلم أو التي سوف تعلم في المستقبل ؟ ولا أريد أن أقول شيئاً عن صور الفلسفة التي سوف يتمحض عنها المستقبل ، بل أريد أن أسألك هل امتحنت كل صور الفلسفة التي ظهرت قديماً وحديثاً ، والتي تعلم الآن في هذه البلاد وفي بلاد الهند وفي كل بقاع الدنيا ؟ وحتى لو فرضنا أنك امتحنتها جميعاً ، فكيف تعرف أنك انتخبت من بينها أقومها ؟ كيف تعرف على أن تضع نفسك من فوق كل البطارقة والانبياء والرسل والشهداء والحكماء ورعاة قوانين الإيمان في الكنائس ؟ أيها الرجل العيس ، أيها اليهودية التي تدب من فوق الأرض ، كيف تعرف على أن تناوى الحكمة الأبدية بتجديفك السخيفة ؟ أي أسس عندك تقيم عليه مذهبك الفاسد الجنوني المبطل الملعون ؟ أية



خيلاً. شيطانية دفعت بك إلى إصدار أحكام قاطعة على أسرار أهل الكنائس  
أنفسهم أنها بما لا يمكن ادراكه الخ الخ .

هذا مقال عما يجد العقل أفدته الثقاليد . على أن جواب « سينوزا »  
Spinoza عليه دليل على حرية الفكر عادت إلى الاستنتاج العقل ، دون الاستغناء  
العلى الصرف . قال

« أنت يا من تزعم أنه وقع على أقوم دين ، أو بالأحرى على أفضل المشرعين  
وعند عليهم ثقته وإيمانه ، كيف عرفت أنهم طلاب أحسن من بين الذين علموا الديانات  
وبشروا بها ، أو الذين يمشرون بها في المستقبل ؟ وهل امتحنت كل هذه الديانات  
التي ظهرت قديماً وحديثاً والتي تعلم هنا في هذه البلاد وفي بلاد الهند ، وفي كل بقاع  
الأرض ؟ وإذا فرضنا أنك امتحنتها جميعاً ، فكيف تعرف أنك انتخبت الأقوم  
من بينها ؟ »

ومن هذه الدرجة انضمت الفكرة إلى الاتهامات العقل . وكان أول من وضع  
القواعد العملية الحديثة في قياس حرية الفكر الفيلسوف الأيقوني المعروف « دافيد  
هيرم » . وفي مذهبه هذا دعى إلى الإخلاص عن الاعتقاد بصحة أي شيء لا يقدم على  
حقيقته جماعة من الكليات أو العدد . بل قضى بأنه من الواجب أن يرفض الإنسان  
كل ما لا يقوم على هذه الحقائق بالعبارة الصحيحة روحها وكتابتها ، الفهم الإنساني وأساس  
لمذهبه هذا .

وليس في هذا شيء من معلومة الاتحاد على الأديان . بل فيه تدريج طبيعي للفكر  
من حال إلى حال ، وظلالها طبعاً باعتبار الزمان والمكان .

\*\*\*

### لفظة إقليم

المقتطف عدد مايو سنة ١٩٣٠ الجزء الخامس عجلة  
١٥ من مقال بعنوان الأقليم اثره في التاريخ ، مترجمة عن  
ليونارد فوكسل

ثبت من هذا المقال العبارة الآتية :

« استعملنا لفظة إقليم ترجمة للفظه الأفرنجية — Climate — المأخوذة من  
لفظه « كليا » Clima — اليونانية ومعناها الأصلي انحراف أو مال . استعملها اليونانيون  
لتدل على ميل محور الأرض . فالنقير في « الكليا » كان ينشئ تغييراً في مركز خطوط



العرض بالنسبة الى الشمس - وهذا كان يحدث بدوره تغيراً في أحوال الجو وطول النهار وقصره - فلما ولعل اللفظة العربية اقليم منقولة عن الاصل نفسه ، واجتماعاً في المعجمات العربية التي بين أيدينا ، فوجدنا بعضها يقول : اقليم يونانية معربة ، وإذن فاللفظة اقليم يجب أن تدل على الدلالة على المقصود من لفظة Climate أي متوسط حالة الجو - أما الطقس Weather فيدل على حادث من سلسلة الحوادث الجوية التي يتألف منها الاقليم .

ونحن نوافق الأستاذ محرر المقتطف على هذه العبارة . وكان العرب يقولون ان مكان كذا معتدل المناخ حسن الاقليم . - ولا شك مطلقاً أن لفظة اقليم معربة دخيلة في اللغة العربية .

\*\*\*

### كيف يعللون الاختلافات بين الأمم

من مقال في مجلة "الشرق" ، الصادرة في ١٠ مايو  
الذي عنوانه "كلها ظلم"

ذكر محرر مجلة "كل شيء" في مقال تحت عنوان "كلها ظلم" ، الأمور التي تختلف بها بعض الأمم عن البعض الآخر . فبعد أن ذكر اختلافاتهم في طرق تبادل التجارة وفي المقاييس والمسكيات وفي نظام العملة وطوايع البريد والقوانين المدنية والجنائية ، وجد بعض العذر للخلاف الواقع بين عادات البشر وتقاليدهم ولم يجد عذراً للأمور والاختلافات الأخرى . فانه لم يجد مثلاً عذراً لمعاملة الجاني معاملة مختلفة في بلاد مختلفة لاقتراف نفس الجنائية . وقد كان أحسن لو وقف عند حد التنازل ، وطلب التفسيرات مع ما في ذلك من الخطأ ، لأن التفسير كثيرة وأكثر الاختلافات التي لم يجد لها تفسيراً تأتي من اختلافات في التقاليد والعادات التي وجد - حضرته لها عذراً - على أنه لم يوقف عند هذا الحد بل تعداه الى الاستنتاج والاستدلال فأناها بتعليل لم نر فيه شيئاً من الصحة ولا ينطبق على الحقيقة العلمية والتاريخية واليك استنتاجه : قال ان كل تلك الاختلافات ( ومنها طماع الأوربي قبته كعلامة الاحترام للغير وإبقاء الشرق طريوته على رأسه لغرض نفسه - وعهدى به قد حسب هذه اختلافات في التقاليد والعادات ووجد لها عذراً ) دليل على ما بين البشر من التناظر والتباين وعلى أنهم لا يحبون بعضهم بعضاً ولا يمتحن أحدهم الخير لآخره . ولم يكتف بذلك بل وجد أن أصدق برهان على هذا هو أن الناس أشأوا جميعيات للرفق بالحيوان ولم ينشروا جميعيات للرفق بالناس .



فما حضرة المحرر المحترم هل في استعمال الطيب الاعيركي مقياس فرئيس واستعمال الطيب السويسري مقياس ستيغراد دليل على أن الاثنين لا يحبان بعضهما ولا يمتنى أحدهما الخير لآخره ؟ وهل إذا استعملت تشيكوسلوفا كيا طابعا للبريد عليه صورة الرئيس مازاريك واستعملت فرنسا آخر عليه صورة باستور يكون ذلك دليلا على التنافر بين القطرين ؟ وهل إذا كان جزاء الياباني اقامة نصف سنة في السجن وجزاء الاسويجي اقامة سنتين للجرم نفسه برهان على التباين بين الامتين ! لا أظن أحدا مسلم بصحة ذلك وإذا فعل فقد يكون في الامر معجزة . قد يكون كل من الآنف ذكرهم بغضا للآخر ولكن ذلك لا يمكن أن يكون من أجل تلك الاختلافات وانما لأجل عداوة شخصية أو نزاع جنسي أو ثأر وطني أو تنافس دولي . اعلموا يا رعاكم الله ان لكل أمة عقليتها المتأصلة فيها ولها أيضا محيطها الجغرافي الذي يختلف في أكثر الأحيان عن محيط غيرها من الأمم . ولكل من تلك العقليّة والحالة النفسية وذلك المحيط الجغرافي تأثير على مؤسساتها وقوانينها وعاداتها وطرق أبحاثها . فليس من الضروري إذن أن تكون تلك الاختلافات ناجمة عن البغض بين الأمم .

يريد حضرة الكاتب أن يبيّن كراهته لتلك الاختلافات الكثيرة ، ولا بأس في ذلك لأن كثيرين يرون في تلك الاختلافات عشرة لفكرة التعاون الدولي وليسير الاشغال والاعمال المختلفة بسهولة بين الدول .

ولكن ان رأي ضررا أو رأي نفعا في وجود تلك الاختلافات — التي انما أوجدتها اختلافات عقلية البشر ومحيطهم والاختلاف في طريقة إدراكهم للأفضل وطرق التوصل اليه — فانه لا يحق له أن يرى في تلك الاختلافات دليلا أن الانسان لا يريد الخير لآخره الانسان ولا يحبه .

وهل لي أن أسأل المحرر عما عني بإنشاء جمعيات للرفق عن المظلومين من بني الانسان وتمنع القوى من التسلط على الضعيف فأي جمعيات أنسب وأفضل من تلك التي أنشأها الناس وسموها حكومات . . . قد يتقد الكثيرون الحكومة ونظامها الذي لا يؤول في كثير من الأحيان الى الرفق بالانسان ومساعدة الضعيف ضد القوى ولكن ما هي الجمعيات التي يعينها حضرة الكاتب ؟

هذا ما أردنا أن ننبه اليه أفكار المحرر وكثيرين مثله وأملنا أن تكون في ذلك الفائدة المطلوبة والباب المفتوح لمن يريد أن يبلغه والسلام .

جورج مرعي حداد  
بكلوريوس في العلوم



## الاستاذ عبدالله عنان والمصور

بمناسبة ما نشر في جريدة السياسة من أن للمصور علاقة بالحركات الشيوعية  
 أصلاً على تكون حزب الفلاح ، ورد المصور عليه في العدد ٣٣ منها  
 كتب الاستاذ المحرر ( الارتوازي ) عبدالله عنان في جريدة السياسة بتهمة  
 بالشيوعية وبأن لنا علاقة بشيوعية موسكو وأن هذه الشيوعية تمدنا بالمال لطبع  
 المصور طبعاً متقناً يحتاج إلى كثير من النفقات في حين أن موارد المجلة محدودة ،  
 ولقد حفرنا هذا إلى الرد على هذا الكاتب ( الارتوازي ) لتهجمه علينا بغير مبرر  
 وذهابه في الرد منها لا يرضى عنه محقق يعرف ما هي آداب الصحافة ولا إلى أي حد  
 يجب أن تذهب المجاملة بين الصحفيين في مجال المناقشات ، ثم اتهمناه بعد ذلك بأنه  
 بسطو على كتب الغربيين فيخرج منها ينفق يقبها على سالفها أو يعطها فتصبح كتاباً يحمل  
 اسم مؤلف هو عبدالله عنان ، وأن النقل محظور بالمرّة ١١١ هذا وهو يعلم أن الكتاب  
 من ألفه إلى رآته منقول سيده عن مجهود غير من المؤلفين .  
 وتعزيزاً لهذه الحقيقة التي نصرح بها الآن بعد أن بلغنا أن الاستاذ عنان  
 ( الارتوازي ) بعد عدته لهجوم عام يوجه به إلى المصور ، ثبت هنا وعلى صفحات  
 المصور أن عناناً هذا نقل كتاباً للزميلة ، الهلال ، ليكون إحدى هداياها التي تهدي  
 بها مشتركها ، وادعى أنه من تأليفه وكتب عليه إلى النقل محظور بالمرّة ، ولكن  
 الكتاب لم يلبث أن نشر حتى وصل إلى الزميل صاحب الهلال ، خطاب من  
 شركة النشر الفرنسية التي نشرت الكتاب تحفظ بحقوقها ضد نشره الكتاب  
 في العربية ونقله الكتاب الذي نشرته من غير حق قانوني ولكن الكتاب بعد  
 كل هذا لا يزال يشر ومؤلفه المحامي الاستاذ عنان الكاتب ( الارتوازي )  
 وعليه هذه العبارة ، النقل محظور بالمرّة ،  
 أما شاهد الرؤية الذي أطلع على هذا الخطاب ، ويعرف الحقيقة معرفة العيان ،  
 فزميلنا الاستاذ سلامة موسى صاحب المجلة الجديدة القراء .



# النقد والتأليف

## العاصفة

- لوليم شكسبير - ترجمة اور شادي - صفحاتها  
 ٨٠ صفحة ولها ملحق في ٦٤ صفحة في تحليل الرواية  
 - ملاحظة بحوزة كثيرة في نحو عشرين صفحة - منها  
 ١٠ فروع - وتطلب من المكاتب ومن إدارة المقتطف

... ..

« تعد العاصفة من أظهر درامات شكسبير الرومانطيقية في قوة الخيال والابتداع والتقن . ففيها يجتمع الشارد بالعجيب ، والشجنى بالجليل . بصورة فنية رشيقة يربها الخيال اللعوب . وفيها استطاع شكسبير أن يجعل الخوارق الطبيعية أمراً طبعياً ، والمدهش مألوفاً وكأنما هو بعد فراغه من دراسة الدنيا القديمة وتصويرها ، خلق في العاصفة دينا جديدة على حد تعبير جنسن . »  
 « ودارس هذه الدراما يجد أن الحركات الخيلية فيها بسيطة وكذلك الحبكة المسرحية بصعب عليه أن يقدّر نهاية الرواية من أولها تقريباً . ولكن رغم ذلك لا يفقد استمتاعه يتبعها منتظراً منتظراً - ذلك لأن شكسبير ملأها بمدهشات الوقائع - وبمجموعة عجيبية من الشخصيات التي هي أقصى ما بلغ اليه التخيل الجامح ، وكل هذا بغير أن أن يفكك وحدتها الدرامية وبدون أن ينص على التقاليد الفنية أما كولرج فيبرها مثلاً للدراما الرومانطيقية الصرفة ، وأما هذه من قع اعترافه بأن الرواية رومانطيقية جداً من تنوع شخصياتها وجراة تأليفها وتعدد حوادثها ومزايها التصويرية إلا أنه يرى أنها في الوقت نفسه كلاسيكية بشدة الحرص على وحدة الزمان والمكان وبصيغة تأليفها البليغة وروعيتها الفخمة وبما تبثه من أدب غنائي وأخلاقي وبما تخلقه من جو ثمل بالصفاء والاطمئنان . »

هذا الوصف نشرته الزميلة المقتطف للعاصفة بقلم أحد تلاميذ المعروفين ، والواقع أن هذا النقد يتناول الرواية في الاصل الانجليزي ، أما الترجمة فقد أبدينا فيها رأينا من قبل . فإذا أردنا أن نزيد رأينا يائناً قلنا بأن ترجمة العاصفة مثال للنقد بالاصل ، وإن ترجمة شكسبير على هذا المثال أفيد من التصرف فيه ، لأننا مهما جهدنا أنفسنا في نقل



شكسبير الى العربية ، فانما تنقل معانيه ودروسه التي ألقاها على الناس في رواياته ،  
ولن نصل الى أسلوبه . أما الملحق الذي نشر مع الرواية بمجموعه فلنا فيه كلمة تنشرها  
فيما بعد .

ولقد خدم الأستاذ صروف محور المقتطف ، الادب خدمة تذكر له بالحمد لاخرجه  
هذه الرواية التي ننصح لكل أديب بأن لا تفوته قراءتها .

ooo

## معجم للأحلام

الجزء الاول في ١٤٦ صفحة من القطع الكبير - مؤلفه لسير جبرى

وهو كتاب يشتمل على مباحث علمية فلسفية في اصل الأحلام ومنشأها  
والمذاهب المختلفة في تحليلها وأقوال العلماء والفلاسفة والمفكرين فيها ، ويحتوى على  
معجم كامل مرتب على حروف الهجاء في تفسير أشهر الأحلام وما ينبنى عليها .

وقد عني مؤلفه عناية خاصة بأن يجعل الكتاب جامعاً لشيء الفوائد فبوجه نبويّاً  
حسناً وحلاءة بكثير من الصور البيانية . ويطلب من جميع المكناب الشهيرة ومن  
مؤلفه بدار المقتطف مصر





# فهرسب

## عصور يونيو ١٩٣٠

### ملحق مصور في ٢٢ صحيفة مشروحة

ص	
٨١	اعمل لذيالك
٨٢	أفيلسوف الصامت — أوكاكتك تعيش أيدا
٩٣	قروح العرب في سورية
١٠٧	تاريخ الحرب الأهلية في أرومينا <a href="http://Archivebeta.Sa">http://Archivebeta.Sa</a>
١١٣	حياة لينين
١١٧	غلزون وتوارث النبوغ
١١٩	كارل ماركس وأم نظرياته الفلسفية والاقتصادية ملخصة
١٢٦	اسماعيل باشا
١٣٠	نظرية التطور
١٣٥	نحن في طور الخطا
١٤٠	الحرب القادمة بين إنجلترا والولايات المتحدة
١٤٦	غاندي — صورة
١٤٧	المرأة — عن طاهر
١٥٢	بين الصحف والمجلات — سطوة الأديان على حرية الفكر — لفظة إقليم — كيف يعطلون الاختلافات بين الأمم — الأستاذ عنان والعصور
١٥٨	النقد والتأليف: جمال طمعة — معجم الاحلام